روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

12

Looloo
www.dvd4arab.com

مغامرات "س"

صديقي

مجدي

المؤسسة العربية الحديثة

أنا والسيد (س) ..

(نسرين الجبالى) ، الصحفية الناشئة ، والمشاغبة العنيدة فوق السطور وعلى أرض الواقع ، تعود إليكم مرة أخرى ـ وليست الأخيرة كما تتمنى ـ حاملة فوق كفيها سرها الأبدى الذى أعياها ـ كما أعياكم ـ البحث عن حقيقته ..

السيد (س) ..

هل مازلتم تذكرونه ، إذا افترضنا جدلاً أنكم مازلتم تذكرونها ؟!

سأكون على القدر اللازم من التفاؤل وأفترض هذا ، لقاؤنا الرابع على ما أذكر .. كلا .. كلا .. إنه الخامس !

صحيح أنها وفقًا للترتيب الزمنى تعتبر المغامرة الرابعة لى مع السيد (س) ، لكنى كسرت القاعدة الزمنية فى الرواية السابقة ، عندما رويت لكم بين دفتى كتاب واحد سميك نسبيًا مغامرتى الرهيبة مع القاتل المتسلسل المجهول الهوية ،

وأنصح من فاتته قراءة هذه المغامرة بالبحث عنها وقراءتها ، فقد كانت من أكثر مغامراتى الصحفية غموضًا ورعبًا ، إن لم تكن أكثرها على الإطلاق ..

وصدقونى ، أنا لا أقول هذا من باب الدعاية أو الترويج ، سترون بأنفسكم إن كنت محقة أم لا ، وعلى كل فهو رأيى الذى أعتز به حتى إن رأيتم كلكم العكس !

عذرًا ، فما زلت ديكتاتورية فى آرائى ، وهذا أحد عيوبى الكثيرة التى لا أخفيها ، وإن كنت أجاهد ـ دون فائدة تذكر ـ للتخلص منها ، أو على الأقل للتخفيف من حدتها ..

ما زلت أيضًا أبحث عن المتاعب بنهم ، حتى إننى كثيرًا ما أسأل نفسى : متى ينتهى كل هذا ؟! متى أعود فتاة عادية لا هم لها إلا تقليب صفحات مجلات الأزياء ، والبحث عن آخر صيحات أدوات الزينة ، ومتابعة مسلسلات التليفزيون بشغف مع تلال (اللب) والفول السودانى ، مبدية إعجابى اللامتناهى بالنجم الشاب الوسيم ذى العينين الزرقاوين والشعر الحرير ، أو بالمطرب صاحب الصوت الدافئ الحنون الذى يجنى الملايين من اللعب على مشاعر الفتيات الساذجات أمثالى ؟!!

متى ؟!!

متى ينتهى جنونى هذا ، ويجمعنى منزل الزوجية والاستقرار بخطيبى المسكين الرائد (هشام القاضى) ، الذى مازال مصرًا على أن يعذب نفسه حتى النهاية معى ، والذى أحبه برغم أى شىء وكل شىء ؟!

متى ؟!

مازلت أسأل نفسى دون أن ينتهى بحثى عن المتاعب ، ودون أن ينقص جنونى ذرة واحدة ، ودون أن يلقى (هشام) بخاتم الخطبة فى وجهى !

دعونا من كل هذا الهراء الذى يحلو لى أن أثرثر بشأنه ، أنتم لستم هنا بالطبع لتسمعوا منى هذه الفضفضة ، العالية النبرة ، وإنما أتيتم بالتأكيد من أجله ..

هو بكل غموضه ، وأسراره ، وقدرته على التخفى والتلون والتلاشى ..

هو الذى لا يعرفه أحد ، حتى هو نفسه !

هو ...

السيد (س) ..

قصتنا اليوم ـ ياسادة يا كرام ـ تدور هناك ، حيث تعانق الرمال البيضاء ، أمواج البحر اللازوردية ، وحيث يستقبلك

(أجدع نـاس) بابتسـامة فيهـا مـودة الدنيـا ، تمتـد مـن (العجمى) لـ (المعمورة) !

سـأروى لكم اليـوم قصتى مع فتـاة اكتشـفت ـ بالصدفـة المحضة ـ أنها (صديقتى) !

ولتتفضل معى إن كنت تصدقنى ..

وإن كنت لا تصدقنى !

★ ★ ★

١ ـ سـفر ..

رفعت سماعة الهاتف لأهتف بمنتهى الضيق :

ـ آلو ...

أتانى صوت السيدة (ألفت) رئيسة التحرير سائلاً فى ضيق أشد :

ـ أين أنت يا (نسرين) ؟! صار لى أكثر من ساعة وأنا أحاول الاتصال بك ولا أحد يجيب ، أين كنتِ ؟!

اعترانى الحرج ـ حتى إن وجنتى قد احمرت كالمعتاد ـ قبل أن أقول مبتلعة ريقى فى صعوبة :

ـ أ... أنا فى المنزل يا سيدة (ألفت) ، و ... ولكن ..

سألتنى وقد تحول ضيقها إلى شىء من الحذر :

ـ ولكن ماذا ؟! هل انتزعتك من شىء مهم كنت تفعلينه ؟! هل كنت تذاكرين دروسك مثلاً ؟!

هتفت مجيبة فى سرعة :

ـ كلا .. كلا ..

ثم التفت إلى شاشة الكمبيوتر المضيئة فوق مكتبى وأنا أتابع :

ـ إنه (الإنترنت) !

ندت عنها همهمة تفهم ، وقالت :

ـ لقد قطعت عليك إذن طريق الإبحار فى مجاهل الشبكة !

هززت كتفىّ ـ ولم تر السيدة (ألفت) ذلك بالطبع ـ لأقول فى بساطة لامبالية :

ـ لم يكن أمرًا مهمًا ، مجرد حديث مع عدد من الأصدقاء المتناثرين عبر بقاع العالم الشتى !

ضحكت ضحكة أمومية قصيرة ، ثم علقت بقولها :

ـ مفهوم .. مفهوم .. أنتم جيل القرية الإلكترونية الصغيرة .. جيل العولمة وثورة المواصلات والاتصالات ..

قلت محاولة أن أبدو أكبر من سنى الحقيقية :

ـ وجيل التيه فى مستنقعات الركود ، جيل الأيام الرمادية المتشابهة التى تجثم كالأحجار فوق صدورنا ..

وتنهدت ثم أضفت :

ـ إنها ضريبة عصر الرخاء الذى نعيشه ، لكل شىء ضريبة لابد أن تدفعها الأجيال الجديدة حتى يجد القدماء مايتحسرون عليه !

قالت السيدة (ألفت) فى رصانة رئيسة تحرير وحنان أم :

ـ قولك هذا يا ابنتى يؤكد لى أن الإنسان لن ييئس أبدًا من العثور على شىء يكدر به حياته !

واستدركت قبل أن تعطينى فرصة الرد عليها :

ـ لكن هذا ليس موضوعنا ، لقد فرغت من فورى من قراءة تحقيقك عن الإعلانات التى تبيع الوهم للناس فى صورة جوائز ضخمة كالشقة والسيارة والجنيهات الذهبية والأجهزة الكهربائية ، و ...

قاطعتها رغمًا عنى ، إذ لم أنتبه إلى أن هذا يعد خرقًا لكل قواعد وآداب الحوار خاصة بين تلميذ وأستاذه :

ـ وما رأيك فيه ياسيدتى ؟!

انتبهت لهذا فقط عندما أنهيت عبارتى ، لكنى وجدت الاعتذار سخفًا أشد ، وتجاوزت السيدة (ألفت) الأمر برحابة صدر فأجابتنى :

ـ مازلت أرى أنك بارعة أكثر فى مجال الحوادث ، خاصة مع قصة السيد (س) التى ألهبت خيال القراء فى قضية (الأعرج) ، لكنى لا أستطيع أن أنكر استمتاعى بقراءة تحقيقك هذا ، خاصة أن الأمر الذى تعالجينه من خلاله حساس للغاية ، يمس أغلبية العامة البسطاء أصحاب الأحلام العريضة والهمم القعيدة ..

انشرح صدرى نسبيًا وأنا أسألها :

ـ هل أفهم من هذا أنك ستدفعينه للنشر ؟!

ـ ليس قبل استكمال أوجه القصور فيه ..

امتطت كلماتى نبرة منزعجة وأنا أهتف :

ـ قصور ؟!

فسرت لى السيدة (ألفت) عبارتها قائلة بلهجتها العملية التى لاتشوبها مجاملة أو محاباة :

ـ أولاً : ستقومين بحذف كل أسماء الشركات والمصانع والمؤسسات التى تزخر بها سطور التحقيق ، فبالإضافة لكون وجودها يعتبر إعلانات غير مدفوعة الأجر ، ستتخذها الغالبية ذريعة لرفع قضايا السب والتشهير على الجريدة ، وتكون النتيجة المزيد من الشهرة لهم والمزيد من الأتعاب لكتيبة محامينا فى مختلف أنواع المحاكم ، لاتحاولى حتى الإشارة إلى أى منها بالحروف الأولى ولنترك المسألة لقدرة القارئ على التخمين والاستنتاج ..

ـ هذه بسيطة !

قلتها فى تربص ، فتابعت السيدة (ألفت) ، وقد شعرت بابتسامتها تعبق صوتها المنساب عبر سلك الهاتف ، ابتسامة أم لطفلها العنيد الذى يرفض فكرة أن يخطئ :

ـ ثانيًا : ستضيفين نقطة مهمة فى تحليلك النهائى للظاهرة ، لابد أن تتناولى الأمر من وجهة نظر علم النفس ، يمكننا أن نقبل رأى د. (فاروق الجبالى) والدك فى هذا الصدد إذ سيجعل اسمه للتحقيق صدى أعلى ..

لن أعيش فى جلباب أبى ، مع خالص التحية للراحل (إحسان عبد القدوس) !

ربما لن أجد من هو أصلح منه ـ كجراح له وزنه فى مجال المخ والأعصاب ـ إلا بعض المدعين من أساتذة علم النفس ، لكنى مصرة على أن أصنع نفسى بنفسى دون اعتماد على أحد ، حتى لو كان هذا الـ (أحد) هو أبى الحبيب ..

طبعًا لم أستطع قول هذا للسيدة (ألفت) ، لكن الحجة كانت حاضرة دون الحاجة لفبركة أسباب واختلاق معاذير ..

ـ للأسف يا سيدة (ألفت) لن أستطيع الاستعانة به ، فهو الآن فى (مينسوتا) بالولايات المتحدة يحضر مؤتمرًا طبيًا مهمًا فى مجال تخصصه الدقيق ، ولن يعود قبل أسبوعين من الآن !

شعرت أنها مطت شفتيها قبل أن تقول فى خيبة أمل :

ـ هكذا !

وتابعت بعد هنيهة صامتة :

ـ ليس أمامك إذن سوى اللجوء لأحد أساتذة علم النفس !

ولم تضف النعت المثالى الصادق لهم « المدعين » .. لكنى فهمته ضمنيًا !

ـ أهذا كل شىء ؟!

سألتها فى ظفر ، أحيانًا أشعر أن السيدة (ألفت) مهتمة بأبى أكثر من اللازم أو المعتاد ، وبرغم أننى لا أفهم سببًا واضحًا لهذا ، فهو ليس موضوعنا الآن !

ـ بقيت أهم نقطة يا عزيزتى ..

تحفزت أكثر .. تربصت أكثر .. شحذت حواسى أكثر ..

ـ .. الصور .. القاعدة الصحفية تقول إن صورة واحدة قد تغنى عن عشرات السطور فى وصف لاجدوى منه إلا إصابة القارئ بالصداع وإرهاق العين !

قلت وقد احتبست الكلمات فى حلقى :

ـ و ... ولكن ...

ـ موضوعك فقير جدًا من ناحية الصور يا (نسرين) ..

قالتها لتهدم مجهودًا مضنيًا فى التفكير والالتقاط وإرسال أفلام للتحميض والطبع على مدى أسبوع متواصل تزامن مع كتابة التحقيق ، فقلت بصوت متحشرج وأنا أغالب رغبتى العميقة فى البكاء :

ـ لقد بذلت قصارى جهدى ياسيدة (ألفت) ..

لابد أنها كانت تتفحص الصور أمامها وهى تهمهم قائلة :

ـ الكادرات جيدة فنيًا ياعزيزتى ، لكنى أحدثك عن صور تحقيق صحفى لاصور رحلة من رحلات الكلية ..

كادت دموعى تنحدر كمدًا ، فما زلت أكره الفشل ، وأمقت الهزيمة ..

ومازلت أبغض سماع عبارات لاتحمل المدح والثناء ، لربما كنت أنانية أو نرجسية أو حتى سيكوباتية ، لكنى لا أتساهل مع نفسى أبدًا فى حالات الإخفاق ، فكما أن النجاح يولد النجاح ، فالفشل أيضًا يولد الفشل ..

ـ لكنى أعتقد أن هناك فرصة طيبة لتلافى هذا النقص ..

سألتها بلهفة غريق يتعلق بقشة :

ـ أين هى ؟!

أجابتنى على الفور كأنها كانت تنتظر سؤالى :

ـ فى (الإسكندرية) !

هل كانت تمزح ؟!

أشك ، لم تمزح معى السيدة (ألفت) فى مجال عمل من قبل !

ـ معذرة ، هل قلتِ (الإسكندرية) ؟!

ـ أجل ، هذا ما قلته ..

ثم إنها استطردت :

ـ غدًا صباحًا سيقام فى (سيدى بشر) مهرجانًا شعبيًا لتسليم جوائز الفائزين فى مسابقة بسكويت (النجمة الذهبية) ، إن إعلاناته تملأ التليفزيون والإذاعة وصفحات الجرائد ، ولعلك ممن يحفظون الجملة الموسيقية الشهيرة الخاصة بالإعلان ، والتى يرددها كل الناس على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم فى الشارع ، سيقوم المليونير السكندرى (بهيج عز الدين) بتسليم الجوائز غدًا بدءًا بالسيارة والشقة التمليك وانتهاءً بالدراجة وألعاب (الفيديوالجيم) ، فى اعتقادى أنها ستكون فرصة مواتية لالتقاط صور غاية فى الروعة ، بل وإضافة جزء كامل فى التحقيق عن المهرجان وردود أفعال الفائزين والخاسرين فيه ..

راقت لى الفكرة إلى حد بعيد ، فوجدتنى أسأل :

ـ معنى هـذا أن التحقيق سوف يُنشر إذا أتيت بصور جيدة ؟!

قالت فى لين :

ـ لا تنسى التعديلات الأخرى ..

مادام الأمر يتطق بالكتابة فلا مشكلة ، التحدى الحقيقى الآن يكمن فى علاقتى المستحدثة بكاميـرا الصور الفوتوغـرافية ، سآتى بصور تتهافت على شرائها وكالات الأنبـاء ومجلات (تايم) و(النيوزويك) و(سماش هيتز) !

هتفت فى حماس مدوٍ :

ـ سأركب قطار السادسة صباحًا إن لزم الأمر ..

قالت السيدة (ألفت) :

ـ أتمنى أن يكون التوفيق حليفـك ، ومـن يـدرى ، ربمـا عدت إلينا بقصة جديدة تنسج خيوطها أحداث المهرجان !

لم تدر السيدة (ألفت) أنها بقولها هذا قد طرحت سؤالى الأبدى الخالد :

من يدرى ؟!

ولم تدر أيضًا أنها قد تنبأت بالحقيقة كلها ..

كلها !

★ ★ ★

قلت وأنـا أتخذ مقعدى بجوار (هشـام) فـى سـيارته الرابضة أمام مدخل البناية :

ـ تأخرت مدة ثلاث دقائق كاملة !

سمعته يزفر فى حرارة كأنه تنين ينفث من جوفه اللهب ، وسمعته يقول دون أن تواتينى الجرأة على النظر نحوه :

ـ هرعت إلى هنا دون تفكير فور إغلاقى للهاتف ، آمـلاً أن أجد لديك سببًا قويًا لمكالمـة فـى الخامسـة والنصـف صباحًا تطلبين فيها منى أن آتى إليك على الفور ..

استجمعت شجاعتى ونظرت إلى وجهه الطفولى بالشـارب الكث أسفل أنفه ، فوقع بصرى على تلك الضمادة عنـد فكه الأيسر ..

ـ ما هذا ؟!

سألته فـى اهتمـام حقيقـى ، فأجـاب محـاولاً القفـز فـوق حنقه المرير :

ـ جاءتنى مكالمتك فى أثناء حلاقتى لذقنى ، فجرحت نفسى من فرط الاستعجال !

سيجعل هذا الموقف أصعب وأسوأ ، ولكن أين المفر ؟!

ـ لا أعتقد أن كليتك تبدأ فى مثل هذا الوقت المبكر ..

تابع (هشام) وهو يتفحص مكان الجرح فى مرآة السيارة ، فهززت رأسى موافقة فى قوة وأنا أقول :

ـ نعم .. هذا صحيح ..

وكمذنب يعترف بما اقترفته يداه ، قلت بعد أن ابتلعت ريقى :

ـ (هشام) .. أنا ذاهبة إلى الإسكندرية !

انعقد حاجباه وهو ينظر فى المرآة ، وقال بعد لحظة دون أن ينظر إلىّ :

ـ أنت تمزحين ، أليس كذلك ؟!

ـ نعم .. لست أمزح !

قلتها بنظرية (القصور الذاتى) ، أو بنظرية معجون الأسنان الذى لا يعود إلى الأنبوب أبدًا ، فنظر إلى هذه المرة سائلاً :

ـ لا تمزحين ؟!

هززت رأسى وقلت بمنتهى منتهى الثقة :

ـ لا ... لا أمزح !

سألنى مجددًا :

ـ قلتِ إنك ذاهبة إلى الإسكندرية ، وقلت إنك لا تمزحين ؟!

ـ هذا صحيح ..

وكقنبلة نووية انفجر فىّ (هشام) صائحًا :

ـ لقد جننت إذن لا محالة ، لا أدرى إن كان مستشفى الأمراض النفسية والعصبية يستقبل حالات طارئة فى مثل هذه الساعة ..

ـ إنها مهمة صحفية عاجلة !

ـ رجلك الوهمى مرة أخرى ؟ أليس كذلك ؟!

ـ كلا .. لا علاقة للسيد (س) بالأمر هذ المرة ..

ـ لعل معاونه السيد (ص) قد ظهر على الساحة !

ـ لا وقت للسخرية يا (هشام) ، انطلق إلى محطة القطار وسأروى لك كل شىء فى الطريق !

ـ (نسرين) .. إن ..

قاطعته فى حسم :

ـ أريد اللحاق بقطار السادسة والنصف ، وسأحملك المسئولية كاملة لو لم ألحق به ..

أبدى ترددًا لحظيًا ، ثم أدار مفتاح السيارة ، قائلاً :

ـ لنر أين سيودى بنا جنونك هذا فى النهاية !

رويت له القصة كلها ، ولما لم تكن معقدة أو طويلة فقد انتهيت منها بسرعة ، لكن صمت (هشام) أدهشنى ، فدفعته فى ذراعه وأنا أسأله :

ـ ماذا بك ؟ أخبرتك أنه تحقيق فى قضية اجتماعية ، أى أننى لن أواجه مخاطر من أى نوع ، لا دم ولا سرقة ولا حتى نصب واحتيال !

قال :

ـ ليس هذا ما يقلقنى ، إننى أتساءل إن كان د. (فاروق) سيسمح لك بالسفر لو كان موجودًا !

قلت :

ـ لقد حادثته هاتفيًا بالأمس فى (مينسوتا) وأخبرته ، ولم يبد اعتراضًا !

كان هذا ما حدث بالفعل ، فليس الكذب من عاداتى المرذولة ، ويبدو أن قولى قد جعل قلب (هشام) يطمئن نسبيًا ، فهز كتفيه قائلاً :

ـ فى هذه الحالة لا أملك إلا أن أتمنى لك رحلة موفقة ..

نظرت إليه بحب ، أحيانًا أشعر أنه أكثر رجال الدنيا طيبة وسماحة ، بل إننى أحيانًا أحسد نفسى على خطبتى له ..

ـ ها هى ذى التذكرة ، المقعد رقم (١٣) ..

تناولت منه التذكرة التى قضى ما يقرب من الدقائق العشر أمام نافذة التذاكر حتى يجلبها لى ، ونظرت إلى الرقم الذى دونه قاطعها فوقها بخط هو الرداءة نفسها ، ثم تبسمت قائلة :

ـ بداية غير مبشرة !

قصدت الرقم (١٣) المثير للتشاؤم ، فبادلنى (هشام) الابتسام ، ثم إنه احتوى كفى بين كفيه قائلاً فيما يشبه الهمس الوجدانى المحرك للمشاعر :

ـ اعتنى بنفسك جيدًا ، وكونى على اتصال دائم بى ..

هززت رأسى ، ورددت عليه بهمس مشابه :

ـ سأفعل ..

دوى نداء (ناظر المحطة) على ركاب قطار الإسكندرية الذى يستعد للمغادرة ، فترك (هشام) يدى وقال :

ـ هيا ، أسرعى لئلا يفوتك القطار ..

قلت قبل أن أبتعد :

ـ آسفة على الجرح الذى تسببت فيه ..

قال وهو يلامس الضمادة بأصابعه :

ـ لا عليك ، على الأقل سيذكرنى بك حتى تعودى ..

يا للرومانسية فى الوقت والمكان الخطأ !

جاءت جلستى داخل القطار بجوار رجل ـ أشار سواد لحيته المهذبة إلى أوائل الثلاثينات ـ وبرغم مظهره الودود وملابسه الأنيقة التى وشت بمكانته المحترمة ، فإن هذا لم يمنعنى من الجلوس على المقعد الخارجى وتركه يجلس على المقعد الداخلى المجاور للنافذة ، فهو بروتوكول محفوظ

لدينا معشر الفتيات ، إن كنت على سفر فى وسيلة عامة للمواصلات فاحرصى دومًا على الجلوس فى هذا المقعد ، سيتيح لك هذا قدرًا أكبر من حرية الحركة ، وسيمنع عنك مضايقات لاحصر لها من ركاب لايتمتعون بقدر كاف من النخوة والدماء فى عروقهم ..

جلست واسترخيت فى مقعدى ، أسبلت جفنى استعدادًا للذهاب فى النوم ، فأنا من هواة النوم فى طرق السفر الطويلة إزجاءً للوقت ، خاصة بعد سهرة طويلة أمام شاشة (الإنترنت) كما حدث بالأمس ..

بدأ القطار يتحرك بالفعل ، وبدأت شاشة العرض فى أغوار لاوعيى تعرض المتواليات السيريالية المعتادة السابقة للدخول فى مرحلة النوم العميق ، عندما .. عندما انتفضت فجأة فيما يشبه الفزع ..

ـ الحقيبة ..

هتفت بها لا إراديًا ، وكنت أقصد حقيبة اليد التى نسيتها فى سيارة (هشام) ، والتى تحوى أهم مافى سفرى هذا ..

الكاميرا الفوتوغرافية !

★ ★ ★

٢ ـ مهرجان ..

أفسد غبائى الرحلة كلها قبل أن تبدأ ، فقد كنت أشبه الذاهب لصيد الأسماك بدون صنارة ، أو الساعى للعب (الجولف) بلا عصا أو كرة !

لم أكن أعرف أننى غبية إلى هذا الحد من قبل !

يا إلهى .. ماذا سأفعل ؟!

استلقيت بظهرى على المقعد وأنا أراقب الخلفية المتحركة خارج نافذة القطار المبتعد ، شعرت أن النيران قد اشتعلت جحيمًا تحت جلدى ، وأن العالم من حولى قد استحال ثقب إبرة انحشر عنقى فيه !

ـ هل .. تعانين من مشكلة ما يا آنسة ؟!

سألنى الراكب بجوارى بعد تردد طال ، لابد أنه لاحظ احمرار وجنتى بفعل الحنق والغيظ .

فى الحقيقة كدت أبكى قهرًا ، أو على الأقل سمع لهاث أنفاسى المحتضرة ..

لم أستطع أن أجيبه ، بل إننى لم أستطع حتى الالتفات إليه ، فسألنى بنفس لهجته الهادئة المهذبة المترددة :

ـ هل سرقت حقيبتك داخل المحطة ؟!

هذا ما استنتجته بديهته إذن من هتافى اللا إرادى ، فالتفتّ نحوه مفسرة وأنا أجاهد للحفاظ على رباطة جأشى :

ـ كلا يا سيدى .. لقد نسيتها فى سيارة خطيبى ..

رفع حاجبيه سائلاً فى اندهاش :

ـ أأنت مخطوبة ؟!

هل الدبلة فى أصبعى الأيمن مستترة إلى هذا الحد ؟! إننى لا أضع أى حلى ذهبية أخرى بجوارها !

عمومًا هذا ليس موضوعنا ..

ـ أجل .. وخطيبى ضابط فى المباحث الجنائية ..

أراد أن يقول شيئًا ما ، لكنه أحجم ، وعاد يسألنى :

ـ هل كان بها شىء مهم ؟!

بالنسبة للنقود فأنا احتفظ بها دومًا فى حافظة داخل جيب سترتى لحسن الحظ ، لكن المعضلة تكمن فى الكاميرا ، إنها مأساة مفجعة !

طبعًا لم أرو هذا كله لرجل غريب أراه لأول مرة ، ولا أعرف عنه شيئًا البتة ، لقد أجبته بدبلوماسية تليق بفتاة رباها أبوها جيدًا :

ـ نسبيًا نعم ، لكنى سأتصرف .. وشكرًا لاهتمامك !

ثم إنى عدت أسترخى فى مقعدى ، وقد أخذت نحلة الأفكار المزعجة تطن فى عقلى ، أما النعاس فقد طار كحمامة !

الحلول المتاحة لهذا الموقف المعقد الذى لم يكن فى الحسبان محدودة ومعدودة :

أولاً : أن أهبط فى المحطة القادمة (سأكون فى الجيزة على ما أظن) وأعود إلى (هشام) ثم أستقل قطارًا آخر بعد التأكد من وجود الحقيبة معى ..

ثانيًا : أتصل بـ (هشام) فور وصولى ليرسل لى الحقيبة بأى وسيلة ..

« وبالمناسبة هما حلان مستحيلان نظرًا للتعطيل الأكيد الناتج عنهما » !

ثالثًا : أشترى كاميرا أخرى من (الإسكندرية) ، وإن

كنت واثقة أن مجموع ما معى من نقود لن يكفى لشراء غالق العدسة منفردًا !

رابعًا : أن أنسى المهمة أصلاً وأعود أدراجى متعللة أمام السيدة (ألفت) بما تجود علىّ به قريحتى من أكاذيب مضللة !

« حلان مستحيلان أيضًا لأسباب واضحة !! »

خامسًا : ... لا يوجد خامسًا ..

انتهت كل الحلول المتاحة بوضعها فى حكم الاستحالة ، وهأنذا فى قطار من الحديد الصلب يجوب بى مروج الإمكان نحو هاوية المجهول السحيقة !

ماذا كنت أنتظر ؟!

معجزة تحقق لى مرادى بعد أن ولى زمن المعجزات ؟!

أم ..

ـ تفضلى ..

فتحت عينى لأرى الرجل المهذب يمد يده نحوى بقطعة من البسكويت المغلف بورق أزرق لامع ، مطبوع فوقه نجمة ذهبية بارزة ..

طفقت أرمق البسكويت بعينين متجمدتين ، مما دعا الرجل لأن يقول وشظايا البسكويت المطحون تتناثر من بين شدقيه :

ـ ألا تحبين هذا النوع من البسكويت أم ماذا ؟!

حدقت فى غلاف البسكويت أكثر وأنا أغمغم قارئة :

ـ بسكويت (النجمة الذهبية) ؟!

ـ أجل ، أجود أنواع البسكويت الفاخر كما يقولون فى الإعلان ..

ثم إنه فرد ذراعه نحوى أكثر وهو يقول :

ـ ألن تأخذى القليل منه ؟!

هززت رأسى نفيًا وأنا أقول :

ـ شكرًا لا شهية لدى !

صحيح أن أمى قد رحلت دون أن يمنحها القدر فرصة نهيى عن أخذ أى شىء من رجل غريب ، خاصة الطعام والشراب ، لكن أبى لم ينس أن ينصحنى بهذا فى يوم من الأيام الخوالى ، فانشغاله الدائم لم ينسه كلية أننى ابنته !

ـ كما تحبين !

لم يتماد فى عرضه بالإلحاح خاصة مع لهجة الحذر فى رفضى ، متى سأتخلص من أسلوبى الفظ هذا يا ربى ؟!

متى ؟!

ابتلع الرجل ما ملأ فمه ، ثم حدق بدوره فى غلاف البسكويت قائلاً إثر تنهيدة :

ـ لقد انفتحت لى أبواب السعد بفضل هذا النوع من البسكويت ، وبفضل رجل الأعمال الوطنى (بهيج عز الدين) !

نظرت إليه نظرة ملؤها الريبة وعدم الفهم ، فتبسم متابعًا :

ـ لاتندهشى هكذا ، ماذا ستفعلين إذن لو علمت أنك تجلسين بجوار الفائز بالشقة التمليك ، الجائزة الثالثة فى مسابقة (نجمة النجوم) ؟!

رفعت حاجبى سائلة فى هتاف ذاهل :

ـ أنت ؟!

ـ أجل ، وسأتسلم مفتاح الشقة اليوم فى مهرجان (سيدى بشر) ، أخيرًا سأجد مكانًا صالحًا للزواج والاستقرار !

قلت من بين ذهولى :

ـ أنـ ... أنا ... الـ ... الأخر ... أخرى ... ذاهبة ... إلى ... هنـ ... هناك ... !!

تظاهر بالاستغراب ـ كأب يمثل على ابنته ـ ثم قال :

ـ حقًا ؟! هذا رائع ... دعينى إذن أطلب منك طلبًا سخيفًا !

تناول حقيبته السوداء من عند قدميه ، وأسندها على فخذيه ، ثم فتحها مواصلاً :

ـ للأسف لم يستطع أحد من أقربائى الحضور معى اليوم ، ولا أريد أن أفوت مناسبة سعيدة كهذه دون أن ...

ومد يده نحوى هذه المرة ممسكة بكاميرا تصوير فوتوغرافى ، وأكمل :

ـ دون أن أسجل سعادتها فوتوغرافيًا ، هلا توليت أنت الأمر يا آنسة ؟! أم أننى سخيف أكثر من اللازم ؟!

ومد يده نحوى هذه المرة ممسكة بكاميرا تصوير فوتوغرافى ، وأكمل :
ـ دون أن أسجل سعادتها فوتوغرافيًا ..

ماذا كنت أخبركم عن المعجزة التى قد تتحقق فى زمن بلا معجزات ؟!

ألستم معى فى أن هذا ممكن ... أحيانًا ؟!

★ ★ ★

(الإسكندرية) فى (مارس) قطعة من فراديس الأمنيات البعيدة ..

يأتى الربيع فى (مصر) غاضبًا ، محملاً برمال الخماسين وزوابع (أمشير) ، إلا فى هذه المدينة الساحلية الساحرة التى تستقبلك فاتحة ذراعيها بالأحضان ، تتثاءب الشواطئ بعد نهوضها من البيات الشتوى ، ترسل بقبلات دافئة قبل أن تنقض عليها جحافل المصيفين بصخبهم وتلوثهم ، أما (الكورنيش) فيبدو مرحًا سعيدًا بعد أن غسلته أمطار النوة الماضية ..

هذه هى (الإسكندرية) التى أعشقها وقت تأرجحها الملون ما بين شتاء وقور ذاهب وصيف صاخب آت ..

لفظتنا عربة الترام ، فى (سيدى بشر) لم يستغرق السير دقائق حتى ظهر الشاطئ المكتظ بالبشر والسيارات واللافتات

الإعلانية المادحة لبسكويت (النجمة الذهبية) والمرحبة بضيوف مهرجان الفائزين فى مسابقة (نجمة النجوم) الكبرى ..

استأذن منى الرجل المهذب ذو اللحية ؛ ليذهب إلى السيارة النصف نقل الضخمة التى تحمل شعار البسكويت ، حتى يسأل عن إجراءات تسلمه لجائزته ، وأوصانى بالحفاظ على الكاميرا وبألا أفوّت لقطة تسلمه للمفتاح ..

طبعًا لم أكن فى حاجة لوصيته ، فبرغم قِدم طراز الكاميرا إلا أنها كانت منقذى الوحيد من العودة إلى (القاهرة) خاوية الوفاض !

كان الحديث قد امتد بينى وبينه فى القطار حتى وصلنا إلى محطة (سيدى جابر) ، أخبرته خلاله بمهمتى التى أنوى إتمامها اليوم ، واستأذنت منه بلباقة فى أن يسمح لى باستخدام الكاميرا خاصته ، ولم يبد اعتراضًا كما توقعت ، بل إن ترحيبه قد فاق توقعاتى ، والطريف أنه أخبرنى عن ولعه الأسبوعى بجريدة (الأربعاء) ، وعن التحقيق الذى لفقته صحفية ناشئة من أسبوعين عن شخصية وهمية هلامية تطاردها أسمتها السيد (س) !

ـ هل يمكن أن يصدق عاقل هذا الهراء إلا فى قصة من قصص الأطفال المصورة ؟!

سألنى فجاريته فى تكذيب ما نشر ، سائلة نفسى عن تصرفه لو علم أننى هذه الملفقة التى يتحدث عنها !

المهم أننى بمجرد هبوطى من القطار ابتعت فيلمين للتصوير ، وحادثت (هشام) فى مكتبه لأطمئنه على وصولى بسلام ..

ـ (نسرين) .. إن حقيبتك ..

ـ أعلم يا (هشام) ولا عليك .. سأتصرف !

لم أشأ أن أروى له أى شىء عن الراكب بجوارى وشهامته فى إنقاذى من ورطة حرجة ، إن من يعرف غيرة (هشام) جيدًا لن يسألنى عن السبب !

النهار الصحو والشمس المشرقة وهواء البحر المنعش جعلونى فى قمة حيويتى ونشاطى ، أضف إلى ذلك جو المرح الصاخب من هتافات وتهليلات وطبل وزمر بلدى ، ولم يخلُ الأمر فى خضم الهرج والمرج من بعض من تطوعوا للرقص والتحطيب كأنه مولد شعبى لا تنقصه إلا رقصة (التنورة) ونافخو النار بالبنزين فى أفواههم !

وبرغم ذلك لم أطاوع نفسى المعجبة بكل (كادر) أراه فى عين الكاميرا ، إننى أبحث عن صور صحفية فيها

حركة وحياة ، وليست فى إحدى رحلات الكلية كما أشارت إلى ذلك عبارة السيدة (ألفت) التى ما زالت تؤلمنى !

أتذكر يوم أراد محرر ومحررة لدينا فى الجريدة أن يتقمصا دورى اثنين ملأ الحياة الزوجية المليئة بالشجار والعراك ، فقصدا مأذونًا شرعيًا لطلب الطلاق واصطحبا معهما مصوّر الجريدة المحترف ، وبعد أن أديا دوريهما بمنتهى البراعة أمام المأذون اتضح فى النهاية أن الفيلم داخل الكاميرا تالف ، وعليه لم يكن أمامهما إلا تكرار المشاهد التمثيلية ، أمام ساعى الجريدة الذى تنكر فى هيئة المأذون المزعوم ، والغريب أن الصور ـــ كما خدعت القراء ـ قد خدعت السيدة (ألفت) نفسها إذ لا تدرى حتى هذه اللحظة أنها مزيفة !

كل ما يهمها ـ كرئيسة تحرير ـ أن تكون الصور صالحة للنشر ، هذا ما تذكرته جيدًا ووضعته نصب عينى وأنا أقتصد فى ضغط زر التصوير الأحمر ، محاولة أن أشق طريقى بين الجموع المتزاحمة بحثًا عن كادر جديد ومثير وناطق بالسخونة والحياتية !

مر الوقت ، لم أُنْهِ الفيلم الأول بعد ، ولم أر الرجل

المهذب صاحب الكاميرا ، (ذاب فى الزحام) كما تغنى (ماجدة الرومى) ، ولم يبدأ توزيع الجوائز بعد برغم تراصها فوق المنصة المرتفعة ـ داخل السرادق المقام على الشاطئ ـ والتى يحيطها رجال الأمن الخاص بسياج متين غير قابل للاختراق ، وبرغم اللافتات التى تشير إلى أن الحفل سيبدأ فى العاشرة ، ها هى ذى تجاوزت الثانية عشرة بعد منتصف الظهيرة بقليل دون أن يبدأ شىء .

ما الأمر ؟!

بدأ السؤال فى التناقل عبر الهمهمات السارية بين الحضور ، وبمتوالية هندسية سريعة منتشرة سادت حالة من الحيرة الممتزجة بالتذمر العام ، ولم يخل الأمر من همسات نددت بالحملات الإعلانية (الفشنك) التى تروج لها وسائل الإعلام ليلاً ونهارًا ..

ـ ماذا قلت لك بالأمس ؟! كل هذه فرقعات مدوية لا هدف منها إلا زيادة المبيعات !

ـ إنهم يضحكون منا .. يبيعون لنا الهواء فى علب البسكويت !

ـ متى سنأخذ الدراجة يا أمى ؟!

ـ لاتخبرنى أن العشرة آلاف جنيه التى ربحتها ما هى إلا وهم حتى لا أسقط ميتًا !

ستكون ضربة صحفية هائلة ـ سبق لا أقل ـ لو انتهى هذا الحفل إلى لاشىء ، مع خالص الاعتذار لأحلام الفائزين التى ستصبح قصورًا من الرمل هدمتها أمواج الواقع العالية المتعالية ، إن الصحافة بلا قلب ، تذكروا هذا دومًا ..

سيكون هذا أبلغ دليل على تلاعب المنتج بحاجات المستهلك ،وعلى تحايل أصحاب رءوس الأموال على محدودى الدخل ، وسيصبح التحقيق أغنى وأقنى ، وسيرفع هذا من أسهمى دون شك فى الجريدة ، عمومًا هذا هو الوقت المناسب للصور التسجيلية المعبرة عن موقف فريد قد لايتكرر ..

انتهت بقية الفيلم بسرعة ، فلجأت إلى مكان ظليل ـ خلف السرادق ـ لأغير الفيلم الممتلئ بالآخر الفارغ ، وأنا أمنى نفسى بموضوع دسم سيخلب لب السيدة (ألفت) لاشك ، حتى إنها قد تنشره فى الصفحة الثالثة ليكون أول ما يطالعه القارئ بعد أن يقلب الصفحة الأولى الزاخرة بالمانشيتات ..

ولكن هل سينتهى المهرجان هذه النهاية المأساوية حقًا ؟!

هل سيـ ...

جاءتنى الإجابة قبل أن يتهادى خيالى السارى فى تصوير النهـاية الشريرة التى أريد تسجيلها فوتوغرافيًا ، فور عودتى للجموع الغفيرة ، التى توجهت أبصارها جميعًا نحو طريق (الكورنيش) المرتفع ، بالتحديد أكثر نحو السيارة (المرسيدس) الفارهة التى توقفت بحذاء الطوار وخلفها سيارة شحن كبيرة تحمل اسم وشعار بسكويت (النجمة الذهبية) ..

ولم تمض ثوان ، حتى شاهدت رجلاً وقورًا أنيقًا بدأ الشيب فى الزحف على فوديه يهبط الدرجات نحو الشاطئ ، وبجواره رجل آخر رث الثياب يمسك بحقيبة بنية متهالكة ، لا يمكن وصفه إلا بـ (موظف حكومى) ـ هل تذكرون شخصية (المواطن المطحون) فى (فلاش) ؟! إنه قريب منها إلى حد كبير ـ وحولهما ثلة من رجال الأمن الخاص والمعاونين ..

ومن الوهلة الأولى أدركت المعنى البديهى لما يجرى ، لقد ذهبت أمانىّ البلهاء أدراج الرياح ، وتأكد إدراكى أكثر مع

همهمات وزفرات الراحة التى أصدرها الكثيرون ، وتأكدت أكثر وأكثر من حمرة الحرج التى علت وجوه المتحذلقين بتكذيب الأمر برمته ..

لكنى على كل حال لم أكن فى سوء موقفهم ، لقد كسبت مجموعة لا بأس بها من الصور مع سطور قد تشوق القراء لما دار فى مهرجان (نجمة النجوم) ، كل ما سأخسره ـ لو عددناها خسارة ـ أن التحقيق لن ينشر فى الصفحة الثالثة !

وحتى أثبت لنفسى أن خسارتى ليست فادحة ، فقد ملت على شابة واقفة بجوارى تتأبط ذراع خطيبها لأسألها بلا مبالاة :

ـ هل هذا هو (بهيج عز الدين) ؟!

همت بالرد لكن خطيبها سبقها هاتفًا فى دهشة ارتفع لها حاجباه :

ـ كلا بالطبع .. إنه ذراعه الأيمن (فاضل المناسترلى) ، أمعقول أنك لا تعرفين (بهيج عز الدين) الذى تطالعنا صورته عشر مرات يوميًا على الأقل عبر إعلانات التليفزيون ؟!

هتفت به الشابة فى انزعاج :

ـ إنها لم تسألك .. لقد سألتنى أنا !

قال خطيبها فى اضطراب :

ـ نعم .. ولكن ..

ـ شكرًا لكما ..

استأذنتهما بابتسامة سمجة ، وعبارات التوبيخ المقذعة تنهال من فم الشابة على خطيبها ذى العين الزائغة خلفى ، ومن الحق لديها كل الحق ، لو فعلها (هشام) ـ فى وجودى أو حتى فى غيابى ـ فلن يكفينى التهام حنجرته كعقاب قاس !!

بدأ الحفل بعد ذلك يأخذ مجراه الطبيعى ، صعد (فاضل المناسترلى) للمنصة وبجواره (المواطن المطحون) ، وعبر المذياع أتى صوته الناعم فى لزوجة :

ـ فى البداية أحب أن أرحب بكل الحضور الكرام ، وأعتذر بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن رئيسى السيد (بهيج عز الدين) .. الذى عاقته ظروف قهرية ـ عن الحضور ـ عن تأخر موعد بدء تسليم الجوائز حتى الآن ، نرجو ألا نكون قد تسببنا فى الكثير من التعطيل لكم ، لذا سنبدأ فى التوزيع

على الفور ، ومعى هنا السيد (فهمى حلاوة) مندوب وزارة الشئون الاجتماعية المشرف على عملية توزيع الجوائز ليتأكد من وصولها لمستحقيها .

أشار لرث الثياب بجواره الذى كان يمسح العرق المتصبب منه بمنديل أبيض كبير ذى مربعات زرقاء ضخمة ، ولم يصفق أحد طبعًا لذكر اسمه ، فلا أحد فى هذا العالم يعرف من هو (فهمى حلاوة) هذا !

اقتربت شابة حسناء من (فاضل) مناولة إياه قائمة طويلة ، نظر فيها للحظة ، ثم قال ليدوى صوته عبر مكبرات الصوت :

ـ ليتفضل الفائز الأول بتسلم مفتاح سيارته الحديثة ، الأستاذ ... دوى التصفيق مع ذكر الاسم وصعود رجل يحتضن ابنه الصغير ليتسلم مفتاح سيارة فارهة لا تتناسب مع مستوى ملابس الرجل أو ابتسامته الطيبة ، أراهن على أنه سيبيعها ليبتاع ما هو أهم ، هذا لو تركت له الضرائب من ثمنها شيئًا !!

المهم أن الكاميرات التليفزيونية قد دارت ، وأن أصوات غلق العدسات قد دوت استعدادًا لإضافة هذه الصور المشرفة لحملة البسكويت القادمة نحو مزيد من الجوائز والأرباح !

لن أتركهم يقتسمون كعكة الصور بدونى ، والأهم أن صاحب الكاميرا هو ثالث من سيتسلم الجائزة ، وعلىّ أن أتحفه بعدة صور اعترافًا منى بجميل سماحه لى باستخدام الكاميرا ..

ـ الفائز الثانى ، السيد (مندى عبد الستار) فاز بقطعة أرض زراعية فى ... حقًا ؟! يا للسفه !

أعتقد أن هناك قطيعًا من القانونيين المختصين بتكييف هذه المسائل قانونيًا ، ليكتشف الفائز المسكين فى النهاية أنه فاز بقطعة أرض للإيجار ، أو فاز بحق استغلال منافعها لفترة معينة ، أو ...

سأكتشف الحقيقة بنفسى ولكن بعد أن ألتقط صور الفائز القادم ..

ـ الفائز الثالث ، شقة تمليك للأستاذ ...

كل شىء على ما يرام ، موقعى من هنا متميز ، يدى فوق الزر ، الكادر رائع ، بقى أن يدخل صاحبه فى الصورة ...

ـ (سليمان عبد البر) ... ألف مبروك ...

تصفيق حاد ، السيد (سليمان) يظهر أخيرًا من قلب الزحام شاقًا طريقه نحو المنصة ، والفيلم الآخر فى جيب سترتى ، أما الكادر فما زال ... مهلاً .. ما هذا ؟!

هناك وريقة صغيرة فى جيب سترتى لا أدرى ماذا تكون ولا الذى أتى بها إلى هنا ، أنا واثقة من أن جيوبى كانت نظيفة ـ كالغسيل المنشور ـ عندما ارتديت ملابسى فى الصباح ، فـ ...

لا يوجد وقت (سليمان) يصعد فى درجات المنصة ، لكن فضولى لم يستطع تركى أؤجل الأمر ، أخرجت الوريقة وفردتها أمامى ناظرة فيها .. لم يكن فيها الكثير ..

سبب التأخير حادث قتل ..
السر عند السيارة ..
السيد (س) ...

(سليمان) يقترب من المنصة والبسمة تقفز عبر لحيته المنسقة ، الكاميرا فى يدى والكادر مازال مثبتًا ..

ضغطت زر التصوير ، صورة واحدة تكفى ..

أنا آسفة يـا سيدى ، لابد أن أهرع الآن نحو السيارة المرسيدس بالأعالى لاستكشاف السر .

آسفة مرة أخرى ياسيدى ، فعهدى بالسيد (س) ـ على قصره ـ أنه لايمزح أبدًا فى هذه الأمور !

★ ★ ★

٣ ـ صديقتى !

شققت طريقى وسط الزحام حتى انسللت من بين الجموع الواقفـة ، امتلأ حذائى برمال الشاطئ البيضاء ، لكنـى لم أهتم ، صعدت فى درجات السلم الحجـرى نحـو طريـق (الكورنيش) بالأعلى لأقف بعد أقل من دقيقة أمام السيارة (المرسيدس) الفارهة ..

أين السر ياسيد (س) ؟!

قلت إن فى الأمر جريمة قتل ، وبتوصيل النقاط المتباعدة ـ آخذين فى الحسبان تأخر بدء توزيع الجوائز لأكثر من ساعتين ، قدوم (فاضل المناسترلى) بدلاً من (بهيج عز الدين) ـ لاستنتجنا دون صعوبة أن الأخير قد قتل !

هل تعرفون ما معنى هذا ؟!

معنـاه البديهى بكل بساطة أن التحقيق ربما حاز ترقيـة مفاجئة إلى الصفحة الأولى مرة واحدة ، فمقتل واحد من أقطاب صناعة المواد الغذائية لاسمه رنين مميز فى الآذان

سيكون خبر الساعة لاريب ، وحتى أوفر على نفسى جهد تبرير موقفى ، أنصح بالعودة إلى الفقرة التى ذكرت فيها أن الصحافة بلا قلب !!

أين السر ياسيد (س) ؟!

هل سأجد جثة الرجل ـ الذى لا أعرف شكله حتى هذه اللحظة ـ مسجاة فوق الأريكة الخلفية ؟! أم داخل حقيبة السيارة ؟! ربما كان الأمر أكثر تعقيدًا فأجد أدلة صغيرة تحتاج إلى مخبر فى حذق (شيرلوك هولمز) بجلال قدره لتفسير مغزاها وترابطها .. إننى لا أرى شيئًا فوق الأريكة الخلفية على كل حال ، و ...

ـ هل يمكننى إسداء أى خدمة لك يا آنسة ؟!

ياللحظ العاثر ، إننى لم أفكر فى وجود رجل أمن هنا ، سيعوق هذا حريتى فى البحث عن السر الذى كتب السيد (س) أنه عند السيارة !

فما العمل ؟!

أنقذتنى قريحتى فقلت راسمة فوق وجهى علامات براءة خائفة :

ـ شكرًا لك ، لـ .. لقد فقدت محفظتى وبها كل ما أملك من نقود .. أعتقد أننى أسقطتها هنا عندما ..

واختنق صوتى بالبكاء المكتوم ، حقًا ، لو لم أكن صحفية لوددت أن أكون ممثلة بارعة ، أعتقد أن كل فتاة هى ممثلة بالفطرة لكنها تنتظر دومًا الوقت المناسب لتطفو موهبتها الربانية على السطح ..

قال الضابط الأسمر فى شهامة :

ـ لا عليك .. سأساعدك فى البحث عنها .. ما أوصافها بالتحديد ؟!

أخذت أتفنن فى رسم صورة وهمية لها ..

ـ إنها بنفسجية ذات خطين أخضرين ، وعليها نجوم صفراء كثيرة ، ووردة زرقاء فى المنتصف ، و ..

.. حتى انتبهت فى النهاية إلى أن شكلها هكذا سيكون قميئًا بالفعل !

انهمكت أنا والضابط الشهم فى البحث عن محفظتى الخيالية ، منحتنى هذه الفكرة الجهنمية المتسع الذى أريده للبحث فى كل شبر (خارجى) من السيارة عن السر المزعوم ، حتى ..

بترت عبارتى عندما لمحت شيئًا ما .. دنوت ودنوت ، مددت إصبعى ثم قربته من أنفى ..

حتى كدت أيئس فى النهاية !

ـ هل أنت واثقة يا آنسة من أنها قد سقطت هنا ؟!

ربما كان السيد (س) يقصد أن السر داخل السيارة ، أليس هذا معقولاً أكثر ؟!

ـ أجل ، إننى ..

بترت عبارتى عندما لمحت شيئًا ما ..

دنوت ودنوت ، مددت إصبعى ثم قربته من أنفى ..

رائحة أعرفها جيدًا ..

ـ ماذا ؟! هل عثرت عليها ؟!

سألنى الضابط فى استغراب ، لكنى ـ من فرط الإثارة لحظتها ـ لم أعطه جوابًا ..

ـ تاكسى !

توقفت السيارة ذات اللونين الأصفر والأسود المميزين لسيارت أجرة (الإسكندرية) إثر إشارتى وهتافى ، وسارعت أندس فى المقعد الخلفى غير ملتفتة للدهشة العارمة فى عين رجل الأمن الشهم !

ـ إلى أين يا آنسة ؟!

ـ مصنع بسكويت (النجمة الذهبية) !

قلتها وأنا ألهث ، فاستدار سائق السيارة نحوى هاتفًا فى انزعاج :

ـ ماذا ؟! إنه فى العامرية !

ـ ليكن !

ـ إنها تبعد حوالى ٢٠ كم جنوب (الإسكندرية) ..

ـ سأعطيك ما تريد من نقود ولكن أسرع باللّه عليك ..

ـ فى هذه الحالة ..

أكمل بالفعل منطلقًا بالسيارة ، بينما قربت أصبعى مجددًا إلى أنفى حتى أتأكد من الرائحة ..

لا مجال للشك ..

البقعة عند الباب الأمامى ـ كما تؤكد الرائحة ـ ليست إلا بقعة دم !

★ ★ ★

شريط من الأسفلت ممتد عبر رمال صحراء جرداء ، تنتصب على جانبيه لافتات عالية للدعاية الإعلانية ، ولافتات أصغر تتناقص عليها الأرقام مع الكيلومترات المقتربة ، ثم بدأت بعض المزارع وإسطبلات الخيول فى الظهور محل التصحر القاحل ، بعدها ظهرت التجمعات المائية الشهيرة التى تكثر فيها زوارق الصيادين وأعواد النباتات الخضراء ، والتى يسمونها (ملاّحات) لأن مياهها مالحة قادمة من ناحية البحر ، رأيتها من قبل مرارًا فى عدة أفلام سينمائية كان أشهرها (الصبر فى الملاحات) و (العار) !

تشاغلت بالنظر عما اضطرب فى رأسى من أفكار ، لقد أيد الدليل على جسم السيارة صدق ظنونى نسبيًا ، بقى أن أتأكد بنفسى من التفاصيل ..

لكن .. هل سأصل فى الوقت المناسب لأجد شيئًا ذا قيمة ؟!

أم سيكون الوقت قد تأخر وتمت مداراة كل آثار الجريمة ؟!

لو كان أول ما تبادر إلى مخيلتى صحيحًا فستغدو محاولات الإخفاء سانجة وعبثية ، كيف يمكن أن تخفى أدلة قتل شخصية شهيرة لها ثقلها مثل (بهيج عز الدين) ؟! وإلى متى ؟!

لكن .. من أدرانى أن القتيل هو (بهيج عز الدين) بنفسه ؟!

لم لايكون شخصًا آخر ويكون المذكور ممن عاونوا فى التخلص منه ؟!

إن نزوات الأثرياء لايعلم عنها شيئًا إلا اللّه .. ثم ..

فيم أفكر باللّه علىّ ؟! وفى ماذا ؟!

ستتضح الأمور كلها فور وصولى بإذن اللّه ، ففيم العجلة ؟!

ـ لاشك أن السيد (س) يحمل لى كالمعتاد مغامرة أخرى محفوفة بالأخطار الجسيمة ، ولابد أنه سوف يتدخل لإنقاذى فى اللحظة الأخيرة ـ كالمعتاد أيضًا ـ وأنا أكاد ألقى حتفى فيها بعد أن أصبح جزءًا منها ..

لقد بدأت أعتاده ، وأعتاد ظهوره المباغت فى حياتى هكذا دون سابق إنذار ، مثيرًا فى وجدانى فيضاتًا من علامات الاستفهام والتعجب ..

من هو ؟!

كيف عرف بأمر هذه الجريمة والجرائم الثلاث السابقة ؟!

أى بطل هو الذى مازلت لاأعرفه ولاأعرف عنه أى شىء برغم أنه يعرف عنى وعن كل شىء كل شىء ؟!

لا .. ليس هو (آرسين لوبين) ، أو (سوبرمان) ، أو (روبن هود) ، أو (باتمان) ، أو (زورو) ، أو (شيرلوك هولمز) ، أو (جيمس بوند) ، أو (أدهم صبرى) !

إنه مثلهم جميعًا ـ على اختلاف أنماطهم وهوياتهم ـ يقاتل من أجل العدالة ، من أجل عالم أفضل ينتصر فيه دائمًا الخير على الشر ، لكنه يختلف عنهم فى نقطة واحدة بالغة الأهمية ، سواء حسبت له أو عليه ..

هذه النقطة هى كونه خفيًا دائمًا ، هى اتشاحه بمسوح الغموض والسرية ، لا يظهر إلامتنكرًا ، ولايتحرك إلى دائرة النور إلا ليحقق عدلاً غائبًا ..

وبرغم هذا ، فلن أفقد الأمل أبدًا فى أن أعرف من هو فى يوم من الأيام ..

متى ؟!

لايهم ... لن أيئس ما بقيت فى صدرى أنفاس تتردد ..

ـ ها هو ذا المصنع يا آنسة ..

أيقظنى صوت السائق من شرودى فى السيد (س) ، وكان قد توقف بى على بعد أمتار من سور المصنع العالى الذى تقع فى صدارته البوابة المغلقة وبجوارها غرفة صغيرة يجلس داخلها ضابط أمن شاب ..

وخلف السور رأيت المصنع الضخم ـ المكون من مبنى واحد عملاق ـ تعلوه لافتة صارخة باسم وشعار بسكويت (النجمة الذهبية) ..

ـ كم حسابك ؟!

سألت السائق وأنا أهم بالهبوط ، فقال وقد برقت عيناه فى جشع ، كأنه اليهودى (شيلوك) فى (تاجر البندقية) :

ـ خمسون جنيهًا ..

هتفت به فى ارتياع كأن حية قد لدغتنى :

ـ كم ؟!

ثم تمالكت نفسى قليلاً وأنا أردف :

ـ أليس رقمًا مبالغًا فيه ؟!

ـ ضعى فى حسبانك عودتى لنفس المسافة خاليًا بلاراكب !

ـ هاك إذن عشرون جنيهًا ، وانتظرنى قليلاً لئلا تعود خاليًا ..

وقبل أن يعترض أو يبدى عضبًا محتجًا أضفت مفسرة :

ـ سأعطيك عشرة جنيهات مقابل انتظارك لى ، وعشرين جنيهًا نظير العودة وهكذا تنال المبلغ الذى طلبت .. اتفقنا ؟!

ثم إنى سارعت بالهبوط من السيارة قبل أن يعترض أو يبدى غضبا محتجًا ، وبخطوات متسارعة توجهت نحو البوابة ..

هنا يكمن السر الحقيقى الذى ما أتيت إلا لكشفه ، حاستى السادسة لم تتعود تضليلى فى هذه المسائل من قبل ..

ـ هل يمكننى إسداء أى خدمة لك يا آنسة ؟!

هتف بى ضابط الأمن الشاب من حجرته ذات النافذة العريضة التى أتاحت له رؤيتى كما أتاحت لى رؤيته إذ رآنى أقف حائرة أمام البوابة ، ولم أفكر كثيرًا هذه المرة فى حيلة جديدة أو قديمة ، معتبرة الصدق منجاة ..

ـ أريد مقابلة السيد (بهيج عز الدين) ، إننى صحفية فى جريدة (الأربعاء) .. نظر الضابط الشاب فى دفتر عريض مفتوح على المكتب أمامه سائلاً إياى :

ـ ما هو اسمك لو سمحتِ ؟!

ـ (نسرين الجبالى) ..

ـ وهل لديك موعد مسبق يا آنسة (نسرين) ؟!

ـ نعم !

فى الصحافة لا يعد الصدق دومًا منجاة ، ثم إنى أبحث عن آثار جريمة قتل يريد البعض محو آثارها ، ألا يعد هذا عذرًا مقبولاً ولو بصورة جزئية ؟!

ـ آسف ، ليس لدى إخطار باسمك ها هنا !

قالها الضابط وهو يرفع نحوى عينين غارقتين فى الأسف ، ولأن القاعدة تقضى بأن تكمل الطريق حتى نهايته مادمت اخترت أن تقطعه من البداية فقد عقدت ساعدى أمام صدرى سائلة فى غضب منزعج :

ـ وما معنى هذا ؟!

ـ لن أستطيع السماح لك بالدخول ، آسف مرة أخرى !

انفجرت فيه صائحة :

ـ وهل هذه مشكلتى أم مشكلتكم ؟! لقد حضرت من (القاهرة) خصيصًا بناءً على الموعد المتفق عليه ، وسأحملك المسئولية كاملة إن لم تسمح لى بالدخول ...

أسقط فى يده بعد تهديدى وتوعدى ، فسألنى فى النهاية .. بعد هنيهة من الصمت والترقب المتبادل .. محاولاً الحفاظ على لهجته الودود :

ـ من أعطاك الموعد يا آنسة ؟!

تصرفت بسرعة بديهة كدينى ..

ـ مدير مكتبه بالطبع .. السيد ..

ـ تقصدين السيدة (انتصار الشربتلى) ؟!

ـ تمامًا .. هى بعينها !

ـ سأتصل بها وأسألها ..

وأتبع قوله بالفعل السريع رافعًا سماعة الاتصال الداخلى طالبًا لرقم ما ، منتظرًا أن يرد عليه أحد ، وأخذ عقلى يعمل بسرعة الضوء ..

ستكون نهاية تمثيليتى الفاشلة لو ردت (انتصار) هذه

الآن ، وصرخت فيه بأنها لاتعرف أحدًا يحمل اسمى ، ثم أمرته بطردى شر طردة ، فأعود أدراجى ملومة محسورة أجرر خلف أقدامى أذيال الخيبة ..

لم يكن أمامى إلا الأمل فى أن لا ترد ، سيعضد هذا من موقفى بنسبة واحد فى الألف وهى نسبة ستكون ـ على صغرها ـ أفضل بكثير من الفشل العظيم !

وهذا ـ لدهشتى وحسن حظى ـ ما حدث ..

ـ آلو .. (إبراهيم) ؟! أين السيدة (انتصار) ؟! غير موجودة ؟! كيف ؟! داخل مكتب البك ؟! ومتى ستنتهى ؟! مفهوم ، مفهوم .. ليكن ، سأتصرف ، ولكن اجعلها تهبط على الفور عند مكتب الأمن الداخلى فور خروجها .. وما شأنك أنت ؟! قل لها إن لديها ضيفة تريدها على وجه السرعة .. إياك أن تنسى يا (إبراهيم) .. إلى اللقاء !

وأغلق السماعة ناظرًا نحوى ، فبادلته النظر بثقة عارمة .. وأنفة شامخة !

* * *

قدماى تهتزان بشدة من فرط العصبية والانتظار المستفز ..

مضت أكثر من نصف الساعة على جلوسى فى (مكتب الأمن الداخلى) للمصنع أمام ضابط شاب آخر ، أخبره الأول بتفاصيل قدومى المباغت ، فجلس يراقبنى كطفلة يخشى أن تعبث بما لايجوز لها لمسه ، والنصف ساعة بالنسبة لى ـ وأنا أمارس لعبة الانتظار السخيفة ـ أطول من دهر كامل ، ثم إنه وقت كاف تمامًا لإتمام جريمة فى (كوالالامبور) وإخفاء معالمها ثم العودة بسلام !

ناهيك عن أن أحدًا لم يعرض علىَ ولو كوبًا من الماء ، كأننى ضيفة ثقيلة يريدون إفهامها بالذوق أنها كذلك ، وكل لبيب بالإشارة يفهم ..

تبًا لهم جميعًا .. إننى هنا من أجل جريمة قتل وليس للتمتع بكرم ضيافتكم أيها الأوغاد !

للمرة العشرين تنهدت بعمق ، ثم حولت بصرى من الضابط الأشقر الواجم كأنه قد فارق الحياة ، إلى الصورة الوحيدة المعلقة فى المكتب ، لمسقط رأسى هندسى للمصنع بطوابقه الخمسة ، وأخذت أرسم بعينى مسارات هلامية بين قاعاته وغرفه المختلفة حتى وصلت إلى غرفة رئيس مجلس الإدارة جنوب الطابق الثانى ، هنا غاية المراد ، هنا يكمن السر كما أتوقع !

تنهدت للمرة الحادية والعشرين ، وكانت المرة الأخيرة ..

ـ ماذا هناك ؟!

صوت أنثوى ناعم وشى بقوة الشخصية وصلابة العريكة ، رفعت رأسى نحو الباب لأشاهد (انتصار الشربتلى) واقفة عنده ..

هى كتلة من المساحيق التجميلية ، أنيقة نعم ، جميلة نعم ، زينتها متقنة نعم ، شعرها مصفوف ومصبوغ نعم ، لكن هذا كله بدا مبالغا فيه ، وبدا مفتعلاً إلى حد بعيد أيضًا ..

ـ الآنسة ..

قالها الضابط الأشقر مشيرًا نحوى فى جمود كأننى سلة مهملات ، فابتسمت فى تكلف تعمدته ، ورفعت (انتصار) أصابعها اللامعة ذات الأظفار المطلية لتزيح خصلة من شعرها انسدلت فوق جبينها ، ثم سألتنى فى اشمئزاز :

ـ هل يمكننى إسداء أى خدمة لك يا آنسة ؟!

هل يتعمدون استفزازى باستعمال نفس صيغة السؤال ؟ أم هو قانون الصدفة وحده لا غيره ؟! عمومًا هى لم تنجح فى رفع البسمة من فوق شفتيّ ، وهممت بالرد عندما قال الضابط الأشقر فى سرعة سابقًا إياى :

ـ تقول إن لديها موعدًا مع السيد (بهيج) !

استغرقت (انتصار) عدة ثوان لاستيعاب الأمر ، كنت قد نهضت خلالها لتصافح رائحة عطرها النفاذ أنفى وأنا اقترب منها مادة يدى بالمصافحة ..

ـ (نسرين الجبالى) ..

كانت تبرق ، كل ما فيها يلمع ، يشع ، يتألق !

ـ أنا لم أسمع باسمك قبل اليوم ..

ـ أعلم .. اضطررت لاختلاق موعد يتيح لى مقابلة السيد (بهيج) ..

ـ وما السبب ؟! هل تعرفينه معرفة شخصية ؟!

ـ لا .. لكنى تواقة لأخذ حديث صحفى منه لينشر فى مكان محترم بجريدة (الأربعاء) .

ـ يجب أن تعرفى أنك لن تستطيعى مقابلته دون موعد ..

ـ لكنى فى حاجة ماسة لمقابلته اليوم بالذات .

قالت وهى تهز رأسها وتمط شفتيها فى امتعاض :

ـ هذا خارج نظام العمل ، تستطيعين ترك اسمك وعنوانك وسنقوم نحن بالاتصال بك لتحديد موعد المقابلة ..

لماذا أشعر أن هـذه المرأة تخفى أمرًا ؟! أو أنها جزء من مؤامرة لمنعى من الوصول للحقيقة ؟! لماذا ؟!

ـ يمكننى انتظاره حتى ينتهى من جميع أعماله ..

قلتها فى لهجة تصميم ، فهزت كتفيها وقالت ببسمة جانبية فيها من التعاطف قدر ما فيها من المكر :

ـ للأسف ، اليوم بالذات لن يقابل السيد (بهيج) أحدًا ..

تنهدت للمرة الثانية والعشرين ـ كنت أظن السابقة هى الأخيرة ـ وقلت فى عناد هذه المرة :

ـ سيدتى ، إنك لم ..

نظرة جانبية إلى خريطة المسقط الرأسى للمصنع ، ثم ..

ـ لم تتركى لى خيارًا آخر ..

ـ ماذا تقصدين ؟!

ـ هذا ما أقصده ..

هتفت بها وأنا أدفعها فى كتفها بعيدًا عن الباب ، وسارعت بتجاوزه عاديةً بكل ما فى ساقىّ من قوة وسرعة ، غير آبهة بهتافها من خلفى على الضابط الأشقر بأن يلحق بى ، ولا بَعْدِ والضابط خلفى ـ غير منتظر لهتافها ـ بالفعل !

لم تكن مطاردة عادلة بأى حال ، ونستطيع القول دون عناء إن نتيجتها كانت شبه محسومة ، خاصة عندما بلغت الدرج الصاعد لأعلى ، وأخذت فى الصعود درجة درجة ، بينما كان الضابط من خلفى يأخذها ثلاثًا ثلاثًا !

تناقصت المسافة بينى وبينه إلى حد مفزع عندما بلغت نهاية الدرج ، كان يكفى أن يمد ذراعه ليمسك بى ، لكنى لجأت للحل الوحيد الذى من شأنه أن ينقذنى مؤقتًا ، فأمسكت بمنفضة السجائر المعدنية الطويلة المنتصبة عند نهاية الدرج ودفعتها فى طريق الضابط ، وانطلقت عبر الطريق المحفور فى عقلى جيدًا إلى غرفة رئيس مجلس الإدارة ..

هل سأجده صريعًا ؟!

أم سيكونون قد أخفوا الجريمة بالفعل ؟!

أم يكون فى الأمور أمور أخرى ؟!

لا وقت للأسئلة ، فالضابط قد انطلق من خلفى مجددًا ـ متجاوزًا العائق الطفولى الذى وضعته أمامه ـ عاقدًا العزم على الإمساك بى مهما كلفه ذلك ، والأدهى أنه رفع عقيرته بنداء عدة زملاء من الأمن استجابوا له وانطلقوا إلى جواره

فى إثرى أنا ، ولما كنت مبتدئة فى مضمار (الماراثون) فقد كانت مسألة لحاقهم بى منتهية تقريبًا ، خاصة أنهم كانوا يزيدون فى سرعتهم مع تناقص سرعتى بفعل الإنهاك واللهاث !

ها هى ذى الحجرة المستهدفة ، قليل من المجهود يا (نسرين) ، هيا ..

الحجرة تقترب ، وهم أيضًا يقتربون ..

ـ أمسكوا بها .. امنعوها من الوصول ..

هتاف (انتصار) عند الدرج زاد من حماسهم ، وسرعتهم ، وأنا أقترب ، ولكن هل سأنجح فى الوصول قبل انقضاضهم علىَّ ؟!

ياكل ما فى دمائى من (أدرينالين) ساعدنى ..

هيا .. خطوات وتصلين يا (نسرين) ..

ـ أمسكوا بها .. أمسكوا بها ..

يقتربون ..

أقترب ..

أمسك بمزلاج الباب .. ما زالو يقتربون ..

أديرة .. أصبحوا خلفى تمامًا ..

أفتح الباب .. يمسك أحدهم بذراعى ..

لقد فعلتها .. فعلتها ..

ـ من ؟!

السيد (بهيج عز الدين) يهتف بها ـ فى صوت جهورى يشبه صوت (يوسف بك وهبى) فى مسرحية (راسبوتين) ـ من خلف مكتبه البيضاوى الضخم ، أصلع الرأس هو ، ضخم الجثة ، يمسك عصا من العاج ذات مقبض من الفضة !

لا أنطق ، أصيب لسانى بالشلل كما يبدو ، تظهر (انتصار) خلفى عند الباب وهى تقول لاهثة :

ـ آسفة يا (بهيج) بك ، لقد استطاعت خداعنا و ...

صاح بها فى غضب متأجج :

ـ ألم أطلب ألا تدخلوا علىَّ أحدًا مهما كان السبب ؟!

ليس هو الضحية إذن ، فمن ترى يكون ؟!

وهل هو من المشاركين ـ ولو بالتحريض ـ فى الجريمة ؟!

مهلاً .. إن مرآها ليس غريبًا على ناظرى .. هل أعرف هذه الفتاة ؟! ..

ـ اذهبوا من هنا .. اذهبوا ، لا أريد أن أرى أحدًا ..

ـ هل أنت (نسرين الجبالى) ؟!

يقطع حبل الحرج والحوار والأفكار صوت رقيق سائل ، يدخل كادر رؤيتى فتاة تجلس عند السيد (بهيج) فى مكتبه ، مكتنزة الجسم ، رقيقة الملامح ، مستديرة الوجه ، قصيرة الشعر ، أنيقة الملبس و ...

مهلاً .. إن مرآها ليس غريبًا على ناظرى ..

هل أعرف هذه الفتاة ؟!

تسألنى وسط ذهول (انتصار) ورجال الأمن و(بهيج عز الدين) نفسه :

ـ ألا تعرفيننى ؟! أنا (داليا) .. (داليا عز الدين) !

يخترق الاسم الضباب المشوش على ذاكرتى فيبدده ..

نعم ، أنا أعرف هذه الفتاة ..

إنها (صديقتى) !

* * *

٤ـ (بحر) ..

« مداخلة »

مثل كل المبتكرات الحديثة ، نقلت لى الرياح أنباء مساوئه وعددت لى مثالبه بأسرع مما نقلت مزاياه وأحصت محاسنه ، لذا فقد استقبلته ـ على الرغم منى ـ بنوع من التهيب الحذر والتطيّر غير المفهوم !

هذه سنة الحياة ، أول ما تسمعه عن (الدش) أنه خطر على الأطفال ، وأنه وسيلة مرعبة للغزو الثقافى والفكرى ، ولا يحدثك شخص عن (الهاتف المحمول) إلا وحذرك من أشعته الموجية الضارة التى تسبب أورام المخ ، حتى (الهندسة الوراثية) لم تنجح ، فكل الخضر والفاكهة الواردة من مزارع تحسين السلالات مسممة ، والاستنساخ ، ما هو إلا نهاية العالم على أيدى علماء (الجينات) فى معاملهم المغلقة ..

دائمًا تتوجه أبصارنا ـ ربما رغمًا عنا ـ نحو الجانب المظلم من القمر ..

دائمًا !

لماذا ؟!

السبب بسيط .. هو أن (الإنسان عدو ما يجهل) ..

ولأننى كرهت فكرة أن أبغض شيئًا لمجرد جهلى به ، فقد تغلبت بسرعة على مخاوفى وجلست وجهًا لوجه مع أقوى ابتكارات الإنسان فى القرن العشرين ، كما يجمع الكثيرون ..

(الإنترنت) !

ورويدًا رويدًا بدأت مخاوفى تزول ، وأخذ حذرى ينقشع ، وبدأت أنغمس حتى النخاع فى هذا العالم الجديد المتسع على مصراعيه كأننى ذبابة وقعت أسيرة لشبكة العنكبوت العالمية !

وبدأت أدرك كم هو رائع ومذهل هذا العالم الجديد ، وأدركت أيضًا أنه ـ كأى عالم آخر ـ فيه النقيضان ، الأبيض الخيّر والأسود الشرير ، وأن مسألة استفادتك أو تضررك منه تتوقف على كيفية تعاملك أنت معه ، أى أن المحكّ هو عقلك وطبيعتك لا قدرته التدميرية ، فقد كان كأى اختراع بشرى آخر ، جماد لا يملك من أمر وجوده شيئًا ..

وعبر شاشة الكمبيوتر أبحرت ، حملت لى أسلاك الهاتف

الدنيا الواسعة إلى حجرة نومى ، العلم والفن والثقافة والسياسة والصحافة والأزياء والرياضة وكل أصناف المعارف الإنسانية الأخرى أصبحت رهن ضغطة زر الفأرة ، وتدريجيًا بدأت أكتشف تطبيقًا آخر من تطبيقات (الإنترنت) بدا لى أكثر جاذبية وبريقًا ، لما حواه من تفاعلية ومشاركة وتجاهل لحدود المكان والزمان ..

هذا التطبيق هو المجتمعات الإلكترونية أو الـ E - Communiries...

فعبر فضاء (السايبر) ـ وهو أحد أسماء شبكة (الإنترنت) العديدة ـ اكتشفت أننى أستطيع تعرف أصدقاء وصديقات من مختلف بقاع العالم ممن يملكون القدرة على الإبحار فى الشبكة ، وذلك بوساطة برامج خاصة تحملنى إلى مواقع شهيرة يمكننى فيها إجراء دردشة chatting مع من يريد من رواد الموقع ، بل إن الأمر قد تعدى حدود لوحة المفاتيح والكلمات المتراصة فوق الشاشة إلى إمكانية التحدث بالصوت والصورة (لمن يملك ميكروفونًا وكاميرا رقمية بالطبع) دون أن يكلفنى الأمر أكثر من تكلفة المكالمة المحلية الهاتفية المعروفة !

فى البداية ترددت ، لم أحب فكرة أن ألتقى بأصدقاء يختلفون عنى فى اللغة والفكر والمعتقدات ، ولكنى ـ مع الوقت والخبرة ـ اهتديت إلى المواقع التى ألتقى فيها مع من يوازى اهتماماتى وأفكارى ، واكتشفت أن هناك مواقع مخصصة للتحادث فى مواضيع بعينها ، هناك مثلاً موقع خاص لمن يريد التحدث من عشاق فيلم (تيتانيك) ، وموقع آخر لمحبّى (شارلى شابلن) ، وثالث لمن يبغى الدردشة بشأن مصرع الأميرة (ديانا) ، أو نبوءات (نوستراداموس) ، أو فيروس (ميليسا) الذى هاجم ملفات (وورد) بلا رحمة على مستوى عالمى ، و... ، وملايين الموضوعات الأخرى ، إنك حتى تستطيع أن تنشئ موقعًا خاصًا بك للدردشة فى مواقع مخصصة تقدم هذه الخدمة مجانًا !

تصور !

ومع الوقت بدأت خبرتى تزداد وتتسع ، علمت أن هناك مصطلحات واختصارات خاصة بفن الدردشة ، مثل (LOL) اختصارًا لـ Laughing Out Lovd و(CU) اختصارًا لـ See you ، وتعنى الأولى أنك تضحك فى حالة إذا ما داعبك أحدهم ، والثانية تقال عادة عند الوداع فى حالة تركك للموقع ، والأمثلة كثيرة عرفتها بالممارسة وحدها ..

أكثر من ذلك ، اهتديت بطريق الصدفة إلى موقع يجتمع فيه العرب وحدهم للدردشة فى موضوعات شتى ، وعلمت أن المتحدثين هناك يتحدثون بالعربية المكتوبة بحروف لاتينية ـ نظرًا لاستخدامهم وأنا منهم لبرامج غير معرّبة ـ وأنهم حلاً لمشكلات من نوع الحروف العربية التى لاوجود لها فى الأبجدية اللاتينية قد حوّروا استخدام الرقم (3) ليصبح حرف (ع) ، والرقم (7) ليصبح حرف (ح) ، لتكتب كلمة (عرب) (3arab) !!

منتهى التفكير المنطقى !

المهم أننى نجحت فى تكوين صداقات عبر قارات العالم المسكونة أكثر من أن أستطيع لها عدًا ، وتطور الأمر من تبادل الآراء إلى تبادل المواقع الظريفة والرسائل الإلكترونية الطويلة الدسمة بل والصور الشخصية أيضًا ، و(داليا عز الدين) هو اسم من قائمة أسماء صديقات (الإنترنت) الطويلة ، توطدت علاقتى بها منذ شهور بعد أن التقينا بمحض الصدفة فى الموقع العربى المذكور ، وعرفت عنها الكثير ، بل وتبادلنا الصور الشخصية منذ فترة وجيزة وتواعدنا على اللقاء عندما تسمح الظروف ، إما عندى فى (القاهرة) ، أو عندها فى (الإسكندرية) !!

ولكم أن تتصوروا أننى كنت أحادثها بالأمس فقط عبر (الإنترنت) ، دون أن يصل خيالى ـ وربما خيالها أيضًا ـ إلى أننى سوف أقابلها اليوم ..

وبهذه الطريقة الممعنة فى الغرابة !

نعم ، إن (داليا عز الدين) ـ ابنة المليونير (بهيج عز الدين) شخصيًا كما عرفت فيما بعد ـ صديقتى ، بيد أنها لم تكن أبدًا صديقة عادية ..

كانت صديقة (إلكترونية) لو صح التعبير !!

★ ★ ★

ـ أنت إذن (نسرين) ، مشاغبة دنيا (الإنترنت) العتيدة !

قالتها (داليا) ضاحكة وهى تقدم لى كوبًا من (القرفة باللبن) فى كافيتريا المصنع ومعها علبتان من البسكويت ـ ماركة (النجمة الذهبية) بالطبع ـ على سبيل كرم الضيافة ، فتناولت منها الكوب والعلبتين وأنا أقول فى مرح خالطه بعض التحفظ :

ـ أتعلمين أنك تبدين أجمل بكثير من صورتك التى أرسلتها لى ؟!

قالت فى ود من يعرفنى منـذ كنـا أطفـالاً نلهو فى شارع واحد :

ـ حقًا ؟!

قضمت بعض البسكويت قائلة :

ـ إننى لم أعرفك لأول وهلة ..

ـ ربما لأن الصورة قديمة نوعًا ، التُقطت لى منذ خمس سنوات تقريبًا ..

امتلأ شدقى بالبسكويت ـ كنت جائعة حقًا إذ لم أذق شـيئًا منذ الصباح والساعة الآن قاربت الثالثة ظهرًا ـ وأنا أقـول لتتناثر شظاياه من زوايا فمى :

ـ لكنك لم تذكرى لى أبدًا أنك ابنة المليونير (بهيج عـز الدين) !

صمتت (داليا) قليلاً، وسرحت بنظرها فى نقطة مجهولة، بينما رطبت أنا حلقى بقليل من المشروب الدافئ ، حتى قالت فى لهجة محملة بأحاسيس مختلفة :

ـ لأننى ـ فى الواقع ـ لا أحب هذه الحقيقة كثيرًا يا (نسرين) !

لم أتوقع منها أبدًا قولاً كهذا ، وقبل أن يسترسل عقلى فى فرض استنتاجات وطرح نظريات أسرعَتْ تفسر مرادها مردفة :

ـ لقد عانيت الأمرين على امتداد عمرى القصير من معاملة كل الناس ـ من أعرفهم ومن لا أعرفهم ـ لى كابنة لرجل الصناعة والاستثمار الشـهير (بهيج عز الدين) ، معاملـة مليئـة بـالتزلف والتملق والافتعال ، كل صديقـات الدراسة .. وحتى المدرسات وناظرة المدرسة نفسها ـ كنّ إما طالبات للمنفعة أو متحاشيات اتقاءً لشرّى ، كأننى حية سامة ، ولهذا السبب دون غيره أحببت صداقات (الإنترنت) وقبلها المراسلة العادية ، إذْ أتاحت لـى متنفسًا بعيدًا عن مسـتنقع ثروة أبى ، ومنحتنى فرصـة التعرف إلى أنـاس لا يهتمون بوضع ومكانة أبى ، وإنما بـ (داليا) الإنسانة ، الكيان الفريد المتفرد ..

هل سأعتذر مرة أخرى للكاتب الكبير (إحسان عبد القدوس) وأنا أتذكر (لن أعيش فى جلباب أبـى) ؟! قبل أن أفكر فـى هذا أسرعت (داليا) تستدرك بعد إدراكها أننى قد أخطئ فهم مرامها :

ـ يجب أن تفرقى بين ضيقى بكونى انعكاسًا لصورة أبى فى عيون الناس ، وبين علاقتى الشخصية به ، صحيح أن أبى قد رزق بى وهو فى سن متقدمة ، لكنى أعشقه وهو يبادلنى بمشاعر الأبوة ما عوضنى كثيرًا عن فقدى لوالدتى رحمها الله !

نسيت ـ أو أن الفرصة لم تكن مواتية ـ أن أخبركم أن (داليا) مثلى ، فقدت أمها فى سن مبكرة وعاشت فى كنف أب حنون طوال فترة نشأتها ، تحدثنا فى هذه النقطة مرارًا عبر (الإنترنت) ، ولمحت الحزن الكامن فى عينيها عبر صورتها الرقمية ، وهأنذا أشعر بمقدار التقارب المهول بيننا ، كأنها (صديقتى) من آلاف الأعوام أو يزيد !

قلت وأنا ألتهم المزيد من البسكويت :

ـ لقد سمعت باسمه أكثر من مرة ، لكنى لم أره قبل هذه المرة ..

قالت (داليا) والدموع تترقرق فى مقلتيها :

ـ إنه حنون للغاية ، لكنه عصبى جدًا اليوم ؛ إذ فقد أعز مخلوق لديه فى الوجود ..

تذكرت فجأة لماذا أنا هنا ؟!! التفتّ نحو (داليا) هاتفة أسألها بغير تفكير :

ـ تقصدين جريمة القتل ؟!

تبخر الدمع الطافى فوق زجاج عينيها وهى تسأل فى تعجّب :

ـ عجبًا .. وكيف عرفت ؟!

أنا أغبى من (أتان) ! ولكن ما الجديد فى هذه الحقيقة ؟!

ـ لا أدرى .. مجرد .. حدس !

وحشوت فمى بمزيد من البسكويت والقرفة ، وتجاوزت (داليا) بمحض إرادتها ـ إذ لا أعتقد فى كونها ساذجة لحد تصديقى ـ عن قولى فتنهدت مغمغمة فى أسى :

ـ بالفعل .. لقد نفذ القاتل تهديده فجر اليوم !

توقفت أضراسى عن الطحن ، وسألت (داليا) محاولة السيطرة على خفقان تلك المضخة بين ضلوعى :

ـ أى قاتل ؟! وأى تهديد ؟!!

استطردت (داليا) :

ـ على مدى الأسبوع الماضى ، تلقى أبى عدة رسائل تهديد بمعدل رسالة يوميًا تخيره بين أن يدفع ١٠٠ ألف جنيه عدًا ونقدًا ، أو يُقتل (بحر) شر قتلة !

(بحر) ؟! من (بحر) هذا ؟!

ـ لم يأخذ أبى الموضوع على محمل الجد ، فالأمن هنا فى المصنع والاستراحة الواقعة غربه ـ والتى نقيم فيها منذ شهور بصفة دائمة انتظارًا لانتهاء أعمال تجديد فيلا (العجمى) ـ مكثف ، ثم إن الرسائل كانت مكتوبة على ورق يحمل شعار المصنع مما يشى بكون الأمر محض دعابة ، أو على الأكثر تنفيس عن غضب مكتوب بالكلمات !

قالت إنه أعز مخلوق لديه فى الوجود ، فهل له إخوة لا أعرفهم ؟! أم ...

ـ ثم إن المهدد لم يتصل .. ولو لمرة واحدة لتحديد مكان وزمان وكيفية تسلمه للمبلغ المطلوب ، مما أكد أكثر أن الأمر ليس إلا مجرد فقاعات صابون فى الهواء ..

ماذا تكون تلك العلاقة التى تجعل (بحر) أعز مخلوق لديه فى الدنيا ؟! من المفترض منطقيًا أن تكون (داليا) كذلك ! فى كل الأحوال سيكون تحقيقًا مثيرًا بالفعل !!

ـ ... وفجر اليوم ، عثر العم (شندى) على جثة (بحر) مذبوحًا بلا رحمة ، ودمه يلطخ كل شىء : جدران الاستراحة الخارجية ، والجراج ، وإسطبل الخيول ، وحتى الأشجار القليلة المزروعة أمام مدخل الاستراحة ..

يا للبشاعة ، ستكون هذه أفظع جريمة قتل أراها فى حياتى !

ـ .. لقد استغرق الأمر ساعات طويلة لتنظيف آثار الدماء هذا الصباح ، وكما ترين فأبى فى حالة مزاجية يرثى لها منعته حتى من الذهاب لمهرجان توزيع الجوائز ، خاصة مع عجزه عن فعل أى شىء ، حتى عن إبلاغ الشرطة !

ارتفع حاجباى هلعًا وأنا أسألها هاتفة :

ـ يا إلهى ! هل نظفتم آثار الدماء دون إبلاغ الشرطة ؟!

بدت هادئة رزينة أكثر من اللازم ـ لدرجة أخافتنى شخصيًا ـ وهى تهز كتفيها قائلة فى بساطة :

ـ وماذا بوسع الشرطة أن تفعل ؟! إنهم لن يعطو الأمر الأهمية التى يرى أبى أنه يستحقها ، وهذا بالتحديد ما يثير أعصابه إلى حد الانفجار ..

هتفت بها مجددًا وقد علت نبرتى وتبخّرت شهيتى :

ـ مادامت جريمة قتل فلابد من إبلاغ الشرطة ، مافعلتموه غير قانونى بالمرة !

يبدو أن انزعاجى قد أدهشها ، مما جعلها تربت على كتفى قائلة بهدوء استفزنى أكثر :

ـ على رسلك يا عزيزتى ، ومن قال إنهم سيعدونها جريمة قتل أصلاً ؟!

هذه الفتاة تريد دفعى نحو حافة الجنون بلا مراء ، هتفت بها وقد بلغت نبرتى من العلو سقف الذروة :

ـ هل تخرفين ؟! هل سيكون إنسانًا يلطخ دمه أنحاء المكان ولا يعدون الجريمة قتلاً ؟! ماذا سيعدونها إذن ؟! مخالفة مرورية ؟!

لذهولى الأعظم رأيت بسمة جانبية ترتسم فوق شفتيها ، ثم وجدتها تسألنى بكل مافى الدنيا من هدوء مع مسحة من استخفاف خفىّ :

ـ إنسان ؟! ومن قال إن (بحر) إنسان ؟!!

(!!)

★ ★ ★

ـ (كليك) ... (كليك) ...

التقطت بكاميرا السيد (سليمان) ـ الذى تركته فى المهرجان دون أن أعيدها إليه ـ صورًا لما تبقى من آثار الجريمة بجراج الاستراحة الخلفية المجاور لإسطبل الخيول ، مخفية أمارات الامتعاض فوق وجهى خلف العدسة ، بينما (داليا) بجوارى تغمغم ـ بعد أن تنهدت ـ فى لهجتها الناعمة الرقيقة بغير تكلف أو اصطناع :

ـ لقد كان (بحر) هو المفضل لدى أبى وسط كل الخيول العربية الأصيلة التى يقتنيها ويهوى تربيتها ..

أكاد أصهل من فرط الغيظ والحنق والشعور بسخافة الموقف !

لأول مرة يضللنى السيد (س) وتبلغ دعابته معى حد السماجة اللامتناهية ، إن الحادث ليس قتلاً كما أشار ، ولن يتعدى أن يكون (تعديًا) أو (إتلافًا لممتلكات الغير) ، أمام العدالة فى حالة التوصل للفاعل افتراضًا ..

بهذه الصورة لن يكون التحقيق مثيرًا أبدًا ، هذا لو كان هناك تحقيق من الأساس ، فمن سيلقى بالاً لمصرع حصان المليونير الشهير إلا أنصار جمعيات الرفق بالحيوان تحت رعاية السيدة الفاضلة (بريجيت باردو) ؟!

يالخيبة الأمل فى التحقيق الضائع (هل أذكركم من جديد أن الصحافة بلا قلب ؟!)

ولكن .. هل أخطأ السيد (س) حقًا ؟

ومن قال إنه معصوم من الخطأ ، لن يعدو فى النهاية إلا أن يكون بشريًا يخطئ ويصيب .. أم .. أن فى الأمر خفايا لا أعلمها ؟!

ربما ، وسيكون هذا هو الوقت المناسب لظهوره حتى يدلنى عليها كما اعتدت !

ـ أتعلمين ، كنت أتمنى أن أدرس فى كلية (الإعلام) ، لالأكون صحفية مثلك ، وإنما مذيعة فى شهرة (أوبرا وينفرى) و (لارى كنج) ، لكن مكتب التنسيق أودى بى إلى كلية (الآداب) قسم (علم نفس) !

ـ ليس هذا بالبعيد عن ميولك على ما أعتقد ..

ـ أحيانًا أشعر بأننى لا أفهم نفسى برغم دراستى لنفوس الآخرين !

(كليك) .. صورة أخرى لابأس بها ..

ـ ومن تظنين أنه يستطيع فعلها ؟!

سألتها فى اهتمام مصطنع ، فقالت بعد لحظة تفكير :

ـ لا أدرى على وجه التحديد ، فليس لأبى أعداء أعرفهم ، اللهم إلا مهاجمى أعداء النجاح المنتشرين كالجراد فى كل المجالات ، ولأن أبى علمنى أن أومن بأن القذف بالحجارة هو قدر الأشجار العالية فلم يعد هذا يضايقنى ، لكنى أعتقد أن فعلة كهذه لم تصدر إلا من هنا ..

سألتها هذه المرة وقد تحول اهتمامى إلى منطقة الحقيقة :

ـ تقصدين المصنع ؟!

هزت رأسها نفيًا وأجابت :

ـ كلا .. أقصد الاستراحة ..

ثم فسرت مستطردة :

ـ نحن نقيم فى الاستراحة مع عدد ممن يثق بهم أبى ، سائس الخيول العم (شندى) ، (فاضل المناسترلى) ذراعه اليمنى الذى تربى على يديه منذ كان المصنع شركة صغيرة ذات رأس مال متواضع ، (انتصار الشربتلى) سكرتيرة أبى ومديرة أعماله التى لا يستطيع الاستغناء عنها برغم أخطائها العديدة فى عملها ، وأخيرًا (فهمى حلاوة) الذى يقيم معنا منذ شهر تقريبًا ..

سألتها مرة ثالثة عاقدة حاجبى فى استغراب :

ـ (فهمى حلاوة) الذى حضر المهرجان اليوم بصفته مندوب وزارة الشئون الاجتماعية ؟!

ـ إنه يعمل بالفعل فى الوزارة ، لكن أبى يستأجره دوريًا لإنهاء بعض التعاملات بين المصنع والوزارة نظرًا لخبرته فى شئون الجوائز بالذات ..

ـ هذا يعنى أن الفاعل هو أحد هؤلاء الأربعة !

ـ يمكننى استثناء عم (شندى) ، فهو يعمل لدينا فى الإسطبل منذ سنين طويلة خلت قبل حتى أن أولد أنا ..

ـ (فاضل المناسترلى) أيضًا يعمل لدى والدك منذ سنين طويلة !

ـ صحيح .. ولكن ..

صمتت وابتلعت ريقها ، فسألتها كأننى أستحثها على مصارحتى :

ـ هل تشكين فيه ؟!

ـ هو .. أو (انتصار) أو (فهمى) .. لن يخرج الجانى عن هذا المثلث أبدًا ..

هززت كتفى وأنا أسأل :

ـ ومن يمكنه الجزم بكون أحدهم هو الجانى فعلاً مادمتم ترفضون إبلاغ الشرطة حتى الآن ؟

تنهدت فى حرارة وعمق قبل أن تغمغم مغمضة عينيها :

ـ لا أدرى ، قلبى ينبئنى بأن الأمر لن ينتهى على هذه الحال ، وأن كارثة أسوأ ستقع قريبًا ..

وجمت للحظة بعد سماعى لما قالت ، ولم أجد ما يقال خيرًا من :

ـ هذا سبب أدعى لإبلاغ الشرطة ..

كادت تقول شيئًا ، عندما تعالى النداء من قريب ..

ـ (داليا) هانم .. يا (داليا) هانم ..

لهجة نوبية لا تخطئها الأذن ـ مَن مازال يذكر تربيتى مع الدادة (رئيفة) ؟! ـ مع اقتراب عم (شندى) ـ لايمكن أن يكون إلا هو ـ ملوحًا بشىء ما بيده ..

ـ ماذا يا عم (شندى) ؟!

ألم أخبركم أنه هو ؟! لقد عرفت هذا من ملابسه نصف المهندمة ، وبشرته السمراء اللامعة تحت وهج الشمس ، وبياض شعر رأسه فى تضاد عجيب ، هيئة سائس محنك لاتخطئه العين أو الأذن !

ـ وجدت هذا المظروف عند مدخل الاستراحة تحت بساط العتبة !

هذا ماكان يلوح به إذن ، ولكن .. هل كان مايدور ببالى صحيحًا ؟!

ـ أرنى ..

اختطفته (داليا) من يده بسرعة متلهفة ، واستأذن هو منا بأدب مبتعدًا ، بينما أسرعت (داليا) تفض الورقة الوحيدة داخل المظروف ، وأنا أحاول كبح جماح فضولى دون جدوى ..

ـ ماذا هناك ؟!

سألتها فى سرعة ، فنظرت إلىّ نظرة فيها من التذاكى الكثير ، ثم قالت :

ـ لقد صدق حدسى إذن !

اختطفت الورقة من يدها بدورى برغم علمى التام وقناعتى الأكيدة بتنافى هذا مع أبسط قواعد الذوق واللياقة ، ولكن ليعطنى أحدكم عقله لحظتها !!

اتسعت عيناى وأنا أنظر للورقة التى حملت فى زاوية الركن العلوى الأيمن شعار المصنع ، وجعلنى (الأدرينالين) ، ألهث وأنا أحدق فى الكلمات القليلة المكتوبة ببرنامج مُنسق كلمات شهير ..

(البقية تأتى .. موعدنا الليلة ..)

بالفعل ، لقد صدق حدس (داليا) ، وتجدد الأمل فى تحقيق جيد يصلح للنشر فى مكان محترم من الجريدة !!

★ ★ ★

٥ ـ مؤامرة ..

لوحة الغروب المشتعلة بالنيران البرتقالية تجعل الظلال دائمًا أطول ..

ـ أعتقد أن الوقت قد حان لإبلاغ الشرطة ، سيد (بهيج) ..

نطق بها (فهمى حلاوة) فى قلق وهو يمسح العرق الناتح فوق جبهته بمنديله ذى المربعات الزرقاء الكبيرة ، ليبدو أشبه بزجاجة مياه غازية مثلجة فى حرارة صيف قائظ ، مبللاً دائمًا ، ولم تتبدل ملابسه المتواضعة الكالحة التى شاهدته بها فى مهرجان (سيدى بشر) منذ ساعات ..

ثم إنه رفع ناظريه إلى (فاضل المناسترلى) المتأنق والواثق من نفسه كأنه (جيمس دين) فى أوج تألقه ، و (انتصار الشربتلى) التى مازالت تبرق كأنها عملة فضية تحت ضوء الشمس ، وجسده النحيل ـ كـ (المواطن المطحون) ـ يرتعد !

الثلاثة واقفون حول السيد (بهيج عز الدين) كسدنة

معبد حول الكاهن الأكبر ، والأخير جالس فوق مقعد وثير ـ كأنه (محمد على) باشا فى قصر (الجوهرة) ـ يحدق فى الرسالة ذات الكلمات المعدودة ، التى أعطته ابنته إياها منذ قليل بعد تناوله للغداء ، وجلوسه المعتاد فى الشرفة السفلية الواسعة للاستراحة مراقبًا الغروب وساعة الغسق ..

أما (داليا) وأنا فقد وقفنا صامتين فى ركن غير بعيد كأننا شابتين طيبتين لا علاقة لنا بكل هذا الذى يجرى !

ـ (البقية تأتى) ..

غمغم بها (فاضل) مفكرًا وهو يحيط ذقنه براحته ويضيق عينيه متظاهرًا بالذكاء ، ثم أردف سائلاً :

ـ هل المقصود أن حصانًا آخر سوف يذبح الليلة ؟!

لم يبد على وجه السيد (بهيج) الصارم أى تعبير أو انفعال ، فران الصمت قبل أن تقطعه (داليا) هاتفة بجوارى :

ـ ومن يدرينا ؟! ربما المقصود أن ما جرى لـ (بحر) سيجرى لأى منا الليلة ..

كان ما قالته رهيبًا لكنه منطقى برغم تجاهل الجميع له ، فوجم (فاضل) و(انتصار) ، بينما ازدرد (فهمى) لعابه ثم قال فى لهجة مضطربة وعضلات وجهه تختلج :

ـ ربما لو تم تزويد الحراسة حول الاستراحة الليلة ..

ولم يجد ما يتم به عبارته فصمت ، وانتظرت أن يتفوه السيد (بهيج) بأى كلمة بيد أنه لم يفعل ، ظل صامتًا يحدق فى ورقة الرسالة دون أن ينبس ببنت شفة ، ودون حتى أن يتبدل تعبير وجهه الجامد كقناع من جليد ..

مرت عدة ثوان دون أن ينطق أحد ، فوجدتها أنا فرصة سانحة لكى أقول :

ـ لا أعتقد أن هذا سيفلح فى منع شىء ، سيد (فهمى) ..

بنظرات مستنكرة التفت نحوى الجميع ـ بما فيهم السيد (بهيج) نفسه ـ وهم يتساءلون فى أعماقهم بلا شك عن هوية هذه المتحذلقة التى تدلى بدلوها فيما لا شأن لها به ولو من بعيد !

ـ ... الخطر يكمن فى الداخل ، هنا !

قلتها بكل شجاعة غير مبالية بنظراتهم لى ، فهتفت بى (انتصار) عاقدة حاجبيها المرسومين بقلم الكحل إذ كانت أكثر الرافضين لوجودى :

ـ ماذا تقصدين يا ... ؟!

تعمدت ألا تذكر لى اسمًا أو نعتًا ، فى الغالب للتحقير من شأنى ، وهممت برد الصاع اثنين لها لكن (داليا) سبقتنى هاتفة ، ولهجتها تستنكر هجوم (انتصار) علىّ بلا مبرر :

ـ تقصد ما فهمته تمامًا ، إن الرسالة مكتوبة بوساطة جهاز الكمبيوتر ، والطابعة فى حجرة مكتب الاستراحة كما يستبين من نوع الحبر وجودة الطباعة المتواضعة ، ثم إن الورقة ـ كالرسائل السابقة ـ تحمل اسم وشعار المصنع ، أضف إلى ذلك عثور عم (شندى) على المظروف أسفل بساط العتبة ، ألا يعنى هذا كله شيئًا محددًا ؟!

عاد (فاضل) يغمغم بنفس الطريقة (الهولمزية) المعهودة :

ـ تعنين إذن أن قاتل (بحر) وكاتب هذه الرسالة والرسائل السابقة هو أحدنا !

ـ تمامًا .. هذا ما أعنيه ..

ـ من إذن الأكثر إثارة للشك ها هنا ؟!

غمغم بها (فاضل) هذه المرة وهو يتوجه ببصره نحو

(فهمى حـلاوة) ، كأنه يسأل (من الدخيل بيننـا ؟) ، ولمـا كانت حركة مكشوفة أكثر من اللازم فقد هتف (فهمى) جازعًا :

ـ ماذا ؟! كلا .. إنك لاتقصد أننى الفاعل بالطبع !

ـ أنا لم أقل هذا !

قالها (فاضل) هازًا كتفيه فى هدوء مستفز ، ويبدو أن (فهمى) قد ضاق ذرعًا بتمثيله دور المحقـق المحنـك فانفجر به هاتفًا :

ـ ولِمَ لايكون الفاعل هو أنت ؟! إننى لن أستفيد شيئًا من فعلة حمقاء كهذه ..

هاجمته (انتصار) هذه المرة بقولها :

ـ ستكون أكثر المستفيدين فى حالة تسلمك ١٠٠ ألف جنيه ، أليس كذلك ؟!

ـ ولماذا أقتل (بحر) دون قبض المبلغ ؟!

ـ هذا سؤال موجه لك !

هتف بها (فهمى) وقد شعر بأن موقفه يسوء :

ـ أنتِ أيضًا متهمة ، وتحاولين إبعاد الشبهة عنك بإلصاقها بى !

زعقت فيه :

ـ اخرس أيها الإمّعة !

ـ أنا إمّعة أيتها الـ ...

ـ صمت !

هدر بها السيد (بهيج) أخيرًا بعد أن انفجر الثلاثة بعضهم فى البعض ، دون مراعاة لوجوده أو احترام لمكانته ، فلاذوا بالصمت كأن على رءوسهم الطير ، وتابع السيد (بهيج) هديره الغاضب بنبرته العميقة ذات الصدى المجلجل :

ـ اذهبو من هنا .. اتركونى وحدى ..

انسحب الثلاثة فى هدوء دون أن ينطق أحدهم ، بات جليًا أنهم يعلمون أن أى كلمة زائدة لن تهدئ الموقف ، وإنما ستزيد نيران الغضب المستعرة كأنها بنزين ..

ـ حتى أنا يا أبى ؟!

سألته (داليا) فى براءة طفولية ، فواصل هديره الغاضب :

ـ الجميع .. الجميع !

سحبتنى (داليا) من ذراعى إلى خارج الشرفة ، ولذهولى الشديد وجدت دمعة تنحدر على وجنتها الممتلئة ، سارعَتْ هى بمسحها حتى لا ألمحها ..

رباه ..

هذه الفتاة تعشق أباها عشقًا مبرحًا حقًّا ..

تُرى ، هل سمعتم عن (عقدة إلكترا) ؟!!

★ ★ ★

ـ يا إلهى ! إنهـا السـادسـة والربع ، لـن أستطيع اللحاق بقطار السابعة !

ـ (نسرين) .. ما رأيك أن تقضى الليلة معى هنا ؟!

ـ ماذا ؟! كلا .. لا أعتقد أنى سأستطيع !

ـ ولِمَ ؟! ستقضين الليلة فى غرفة خاصة بك فى الاستراحة ، و ....

ـ المشكلة أن خطيبى قد يشنقنى لو طلبت منه السماح لـى بهذا ..

ـ أخبريه أنك لن تستطيعى اللحاق بقطـار الليلـة ، نظرًا لأن المواصلات صعبة ليلاً بين (الإسكندرية) ، و(العامرية) ..

ـ هذا لن يقنعه ..

ـ أرجوك حاولى يا (نسرين) .. إننـى أخـاف أن أقضـى الليلة بمفردى ..

ـ ولكن ..

ـ ستكون ليلة رهيبة ، أستطيع أن أشعر بهذا من الآن ..

ـ إن ...

ـ هـذا بالإضـافة إلى أنـك ستكونين بجـوار موقع الحـدث لو حدث الليلة ـ لاقدر الله ـ ما لا يحمد عقباه !

ـ .... !

ـ ها .. ما رأيك ؟!

ـ دعينى أجر مكالمة مع (هشام) ولنر ماذا سيفعل !

★ ★ ★

أبعدت السماعة عن أذنى تحاشيًا لسماع صراخ (هشام) المحتج ، ولما وجدت أن نبرته قد هدأت قليلاً قربتها ثانية لأقول :

ـ اهدأ يا (هشـــام) ، إننى أتحدث من منزل فيه أناس محترمون !

هتف بى كأن شياطين الدنيا قد ركبته :

ـ لقد فقدت عقلك يا (نسرين) ، أو أننى أنا الذى فقد عقله ..

كنت أتوقع منه كلامًا كهذا وأكثر ، فسألته محاولة إقناعه بالحسنى :

ـ ولماذا تفترض الجنون فى عقل أى منا ؟! أليس مبيتى هنا عند صديقتى أفضل من عودتى وحدى فى وقت متأخر كهذا ؟!

صرخ فى عصبية عارمة :

ـ وما الذى جعلك تتأخرين عندك حتى الآن ؟! لقد توقعت أنك تحادثيننى من المنزل لتطمئنينى على عودتك بسلام !

أدرت عينى فى أنحاء حجرة المكتب التى تركتنى (داليا) فيها بمفردى أجرى الاتصال ، كأننى أتأكد من خلوها إلا من قطع الأثاث وجهاز الكمبيوتر والهاتف المزود بالفاكس ، وهمست فى نبرة وشت بخطورة ما سأقول :

ـ القصة طويلة ، لن أستطيع إخبارك بتفاصيلها كلها الآن ..

صمت إذ لم يجد المزيد من الكلمات الصالحة للصراخ ، فأتبعت بقولى :

ـ سأستقل قطار السابعة صباح الغد ، ولو وجدت قطارًا قبله فسأستقله ، تأكد من أننى سأكون فى المنزل قبل العاشرة على الأكثر .. اتفقنا ؟!

سلم فى النهاية بالأمر الواقع ، ولابد أنه نعى فى داخله حظه العاثر الذى أوقعه برفيقة عمر مصابة بالهوس مثلى .. هو يفعل هذا فى كل رواية تقريبًا ! ، فقد تنهد ـ أو للدقة زفر ـ فى ضيق بالغ قبل أن يقول لاويًا (بوزه) :

ـ وهل بوسعى إلا القبول ؟! لامجال آخر للاختيار على ما أظن ...

قلت أدلله وأمتص البقية الباقية من غضبه :

ـ لاتقلق يا (إتش) !

ـ (إتش) ؟!

أراهن أنه يبتسم الآن على الجانب الآخر من الهاتف ،

إنه يفعل ذلك فى كل مرة أستخدم فيها هذا اللقب لمناداته كما يفعل أصدقاؤه المقربون فى (المباحث الجنائية) ..

ـ سأكون بخير يا حبيبى ..

أتساءل دومًا هل أصلح ـ بهيئتى واندفاعى وتمردى ـ فى دور الفتاة الرومانسية الحالمة ؟! النتيجة لاتكون مخيبة للآمال دائمًا !

ـ دعينى أتأكد من هذا بنفسى عندما أراكِ فى الصباح ..

ـ سأحاول محادثتك مرة أخرى إن سمحت الظروف ..

ـ ليكن ، اعتنى بنفسك جيدًا ..

ـ إلى اللقاء ..

أغلقت السماعة وهممت بالمغادرة ، لكنى آثرت البقاء فى موقعى حتى تأتى (داليا) ، هكذا تقضى قواعد (الإتيكيت) وفن التعامل على ما أظن ، عمومًا هى قالت بأنها لن تتأخر ، وفى هذا إشارة ضمنية لطلبها بأن أنتظرها ها هنا ..

وهأنذا .. أنتظر جالسة فوق مقعد مقابل للمكتب ..

ستكون ليلة زاخرة بالأحداث لو صدقت توقعاتى وحاستى

الشمية الصحفية ، أستطيع تخيل عشرات السيناريوهات المستقبلية لكنى أفضل أن أبدأ بما حدث بالفعل ، أرتبه وأعيد تحليله على ضوء المستجدات لاستشراق آفاق المستقبل بدءًا من نقطة انطلاق ثابتة وراسخة ..

١ ـ أجد فى جيب سترتى رسالة من السيد (س) يخبرنى فيها أن جريمة قتل قد وقعت ، وبغض النظر مؤقتًا عن كيفية وصول الرسالة إلى جيبى ، فقد كشف تسلسل الأحداث عن أن الواقعة لم تكن (قتلاً) ، وإنما حصان عربى ذبح بفعل مجهول !

٢ ـ ألتقى بـ (داليا) صديقة الإنترنت ، الصدوقة ، فتخبرنى ببعد آخر للجريمة وهو (الابتزاز) ، فقد تلقى والدها المليونير الأشهر (بهيج عز الدين) عدة رسائل تهديد بقتل (بحر) ـ أفضل خيوله العربية ـ أو دفع مبلغ كبير من المال !!

٣ ـ الدلائل تشير إلى كون الفاعل مقيمًا داخل الاستراحة مع صديقتى وأبيها ، والقائمة هنا تضم عدة أسماء :

- (فهمى حلاوة) : أول المشتبه فيهم نظرًا لحالته المادية المتواضعة ..

• (فاضل المناسترلى) : بعيد عن الشبهات قليلاً لو أخذنا الظاهر مقياسًا ..

• (انتصار الشربتلى) : هى الفاعلة لو اتخذت من كراهيتى لها سببًا !

• (عم شندى) : فوق مستوى الشبهات !!

٤ ـ تصل رسالة تهديد جديدة فى أثناء وجودى بوقوع أمر ما الليلة ، وهأنذا قابعة هنا طوال الليل لأرى ما هو هذا الأمر !

هذا كل شىء ، تبدو صورة غير مكتملة تنقصها عدة تفاصيل مهمة ربما كان من شأنها حل اللغز ولو جزئيًا ..

أولاً : نسيت أن أسأل عن تفاصيل مقتل (بحر) ، لقد جعلنى الامتعاض أتجاهل معرفة كيف ذبح ؟! وبأى أداة ؟! وكيف تم العثور عليه ؟! و ... الخ ..

ثانيًا : هناك نقطة مهمة لا أدرى لها تفسيرًا مقنعًا ، وهى : لماذا لم يتصل طالب النقود قبل ارتكاب جريمته ؟! هل اتصل بالفعل والسيد (بهيج) يتكتم السر ؟!

أم أن الفاعل قرر أن قتل (بحر) سيكون أكثر ربحًا من النقود ؟! أم ...

ثالثًا : كل المشتبه فيهم صالحون لارتكاب الجريمة بالنسبة لى على الأقل ، تنقصنى المعلومات بشدة عنهم ، وعن دافع مناسب لكل منهم يدفعه لارتكاب الجريمة ، فهل تكون الليلة كافية لجمع هذه المعلومات ؟!

رابعًا : وهى النقطة الأهم وستبقى دومًا كذلك ، السيد (س) ، أين هو ؟! كيف علم بما يجرى هنا ؟! بل وكيف دس الخطاب المبدئى فى جيب سترتى ، إننى لم ...

آه .. تذكرت ..

« شقة تمليك للأستاذ (سليمان عبد البر) » !

إنه هو ، رفيق رحلة قطار الصباح ، ترى هل انتبهتم إلى هذه الحقيقة قبلى ؟!

تمالكى نفسك يا (نسرين) ، الوقت لم يفت بعد ، لتسترح كل العقد (السيمباتوية) فى جسدك الآن ، ولتبدئى غدًا فى رحلة البحث عن هذا الـ (سليمان) ، لابد أن له سجل

بيانات ـ ولو تكون قليلة ـ فى مصنع (النجمة الذهبية) كفائز بجائزة كبرى ..

أريد أن أركز تفكيرى الآن فى هـذه القضية ـ التى لـم تصبح قضية بعد ، السؤال الذى يطرح نفسه بقوة الآن هو : ماذا سيحدث الليلة ؟!

هل سـ ...

قطع استرسال الأفكار فى خلايا عقلى أزيز جهاز الفاكس بجوارى ، أز لثوان ثم لفظ ورقة كبيرة مكتوبًا عليها عدة كلمات كبيرة بحروف كبيرة ، وبرغم أن التلصص على ما يخص الغير ليس من شيمى ، إلا أننى لم أستطع منع عينى من النظر إلى الورقة التى سقطت على الأرض ، ومن قراءة كلماتها القليلة ..

الخيل تصهل .. لكنها لا تجيد التعبير ..
(س) ..

هذا الفاكس لى أنا إذن !

الأسئلة كثيرة والوقت ضيق ، لامجال إلا لطرح سؤال أوحد :

ماذا يقصد السيد (س) هذه المرة ؟!

لابد أن الجواب يقع هناك ...

نعم ، تمامًا ، فى إسطبل الخيول ..

إلى هناك إذن !

★ ★ ★

بدأ الظلام فى إلقاء عباءته الليلية الكاحلة ، طاردًا بقايا الضوء المتلاشى فى صفحة السماء الكحلية كنفس مريض بالاكتئاب المزمن !

المزرعة غرب المصنع تقع فى مساحة تشبه حرف الـ (L) باللاتينية ، تقع الاستراحة أقصى الذراع القصير للحرف والإسطبل أقصى الذراع الأطول العمودى ..

الطريق نحو الإسطبل كان خاليًا ، لم أشاهد أحـدًا ، وقد كان الظلام كفيلاً ببث الرهبة فى قلبى والرجفة فى أوصالى فى ظروف أخرى ، لكن كل ذرة فى تكوينى لحظتها كانت تفكر فيه .. ومن غيره ؟!

السيد (س) بالطبع ...

أى سر رهيب يكمن فى هذا الشخص الوهمى ؟!

أى ستار هذا الذى يتخفى خلفه ؟! ولماذا ؟!

كيف عرف أننى سأكون ـ فى تلك اللحظة بالتحديد ـ داخل حجرة المكتب باستراحة المليونير (بهيج عز الدين) الواقعة فى طريق (العامرية) ؟!

هل يراقبنى ؟!

كيف ؟! إن ..

برقت فى خاطرى فكرة سارعت بوضعها جانبًا ـ برغم معقوليتها الشديدة ـ إذ كنت قد وصلت هرولة إلى باب الإسطبل المفتوح دومًا ..

أين العم (شندى) ؟!

كلا .. لن أناديه ، قد يفسد هذا كل شىء ..

الصهيل المكتوم ووقع السنابك يتناهيان إلى مسامعى من الداخل ، لم تتم الخيول واقفة بعد ، على كل لن يمنعنى شىء من التقدم بخطى ثابتة واثقة نحو الحقيقة وإن تكن فى الدرك الأسفل من سقر ..

أتقدم ببطء واجف ، ألمح فى زرقة الضوء المحتضر غرف الخيول المنفصلة المغلقة ، أكوام التبن وحوض مياه السقاية ورائحة الروث ، ها هى ذى الخيول ، فماذا تسمع ؟! وما الذى تعجز عنه تعبيرًا ؟!

ماذا قصد السيد (س) ، تُرى ؟!

لا أكاد أرى ما حولى ، ولا أسمع شيئًا خارجًا عن المألوف ..

مهلاً .. ما هذا ؟!

صوت أشبه بالهمس المتبادل ، على أطراف أصابعى أتقدم ، لابد أن هذه الغرفة الخالية كانت غرفة (بحر) المقتول ، لكن ..

الصوت ما زال بعيدًا ..

إنه آت من خلف الإسطبل ، بالتحديد عبر هذه النافذة المربعة الكبيرة بالأعلى ..

لو تسنى لى النظر من خلالها فسأفهم كل شىء صوتًا وصورة ، ولكن كيف السبيل إليها ؟!

لن أعدم وسيلة ، أفكر بسرعة محاولة أن أخترق ببصرى حجاب الظلمة من حولى ، السرعة .. السرعة ، الهمس ما زال دائرًا ولكن إلى متى ؟!

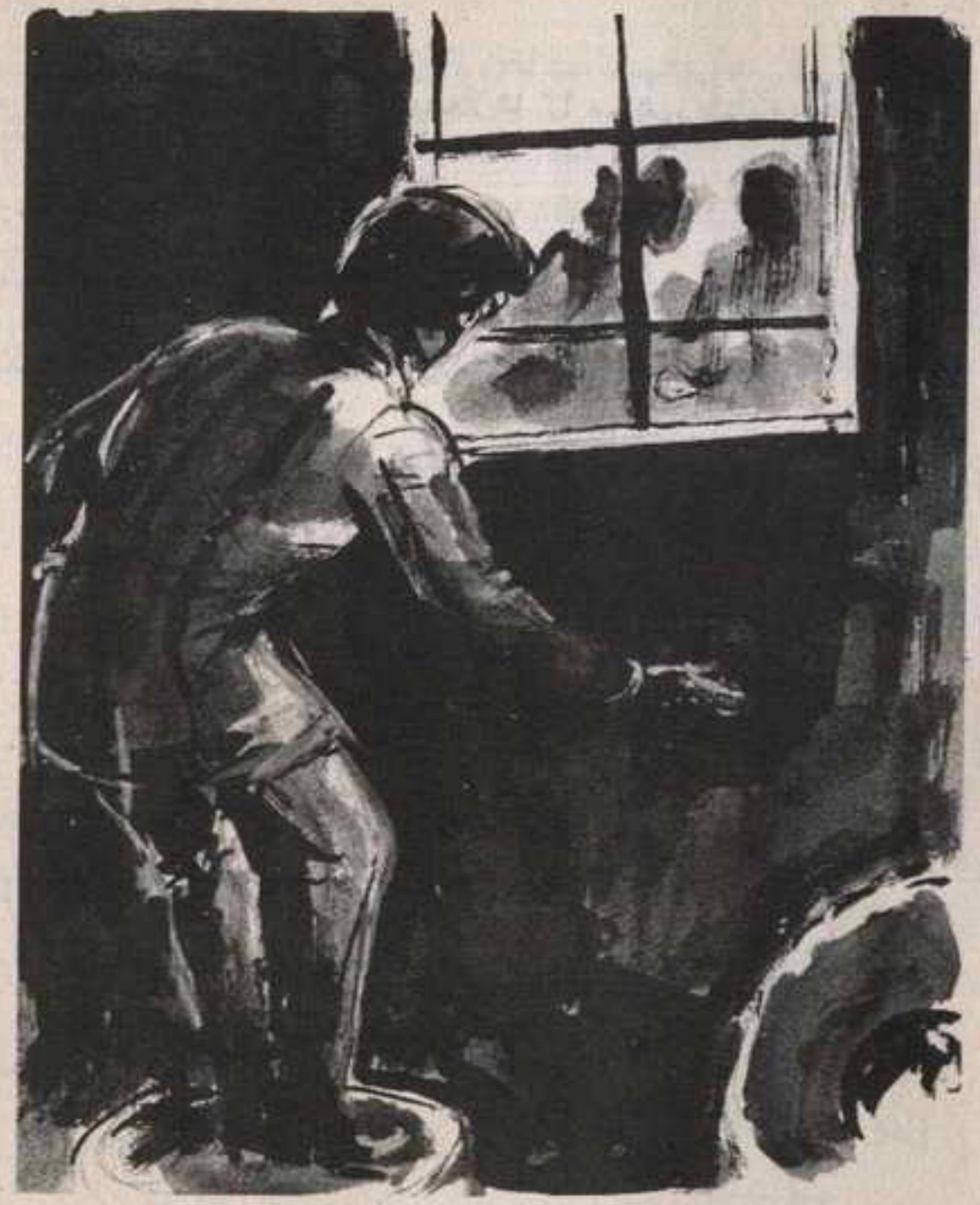

برميل - لا أدرى سر وجوده فى هذا المكان ولا أريد - أستطيع التسلق إلى قمته لأقف فوقه ، ومع قليل من الميل بجذعى أستطيع النظرة خارج النافذة ..

حسن هذا هو الحل ..

برميل ـ لا أدرى سر وجوده فى هذا المكان ولا أريد ـ أستطيع التسلق إلى قمته لأقف فوقه ، ومع قليل من الميل بجذعى أستطيع النظر خارج النافذة ..

هأنذا أفعل ، وها هو ذا كل شىء يتضح ..

ـ هل تظنين أنه (فهمى حلاوة) ؟!

ـ قد يبدو ساذجًا ، لكن لا يجب أن نترك هذا يخدعنا ..

(فاضل) و(انتصار) ؟!

فى الأمر شراكة إذن !

ـ ولكن كيف عرف بأمر ما سيحدث الليلة لو أنه هو ؟!

ـ لا تدع هذه يقلقك ، سأدبر له الليلة ما يكفل إبعاده تمامًا عن طريقنا ..

لن ينتبها إلى نظرى إليهما من موقعى هذا فى الظلام ، هذا مطمئن ، السؤال هو ما الذى جمعهما ها هنا ؟! ماذا يدبران ؟! وما معنى هذا الحوار المتبادل بينهما ؟!

ـ هل تعتقدين أن خطتنا محكمة إلى هذا الحد ؟!

ـ وأكثر ، إن مسألة مقتل (بحر) هذه لم تشكل لنا عائقًا كما تصورت !

هل معنى هذا أنهما لم يفعلاها ؟! ما هى خطتهما إذن ؟!

تواصل (انتصار) :

ـ لو أعملنا العقل قليلاً فسنجد أنها قد ساعدتنا وسهلت لنا الأمر !

يسألها (فاضل) فى تعجب :

ـ وكيف هذا ؟!

ـ سأشرح لك كل شىء إن ..

قطع استطرادها صوت ارتطام صادر من داخل الإسطبل خلفهما ، لقد سقطت من فوق البرميل وأنا أميل بجذعى أكثر لأسمع أفضل !!

كارثة بكل المقاييس ، ولمزيد من الدقة فهى نهايتى من سجل الأحياء لو كشفا وجودى ، لقد كانا يدبران لمؤامرة ما ، وأنا سمعتهما ، وهذا يعنى ..

ـ ما هذا ؟!

ـ دعنا نر بأنفسنا ..

إنهما فى طريقهما للداخل الآن ، وبحسبة بسيطة فلن أستطيع بلوغ المدخل من موقعى هذا ـ فوق كومة تبن حمت عظامى من كسور حتمية لحسن حظى ـ قبلهما ، وحتى لو نافست عدّائى (الأولمبياد) واستطعت تحقيق رقم قياسى جديد فسيرياتى ، وستكون النتيجة واحدة فى كل الحالات ..

نهايتى من سجل الأحياء ..

بلغا المدخل بالفعل ، وسمعت (انتصار) تقول :

ـ افحص المكان جيدًا ..

سمعت (فاضل) يزدرد ريقه قائلاً فى وجل :

ـ إن الظلام دامس ، و ...

هتفت به مقاطعة فى صرامة :

ـ لن نسمح لأحد بكشفنا بعد بلوغنا هذا الحد ..

لابد أنه هز رأسه موافقًا ـ مع تصبب العرق على صدغيه ـ وهو يقول مضطربًا :

ـ بالطبع .. بالطبع .. ولكن ألا يحتمل أن يكون أحد الخيول قد سقط أو ...

ـ كل الاحتمالات واردة ..

أسكته قولها فطفقا يبحثان فى الظلام ، وحاولت أنا كتم أنفاسى فى مخبئى ، حتى تناهى إلى مسامعى صوت عم (شندى) ـ بلهجته النوبية المميزة ـ عند المدخل هاتفًا :

ـ هل تبحثان عن شىء ما ؟!

بلا شك كان يحمل مصباحًا كهربائيًا يتم شحنه مسبقًا ، فقد لمحت ظلال الضوء على سقف الإسطبل ، ثم سمعت (انتصار) تقول فى لباقة :

ـ أجل ، لقد فقدت خاتمًا ذهبيًا أظننى أسقطته هنا ..

سأل عم (شندى) فى ذكاء :

ـ وتبحثان عنه فى الظلام ؟!

سألته هى بدورها :

ـ وماذا بوسعنا أن نفعل ؟!

ساد الصمت هنيهة ، حتى قال عم (شندى) فى شهامة جنوبية أصيلة :

ـ لتدعانى أساعدكما إذن ..

من قال (إن المصائب إذا أتت لا تأتى فرادى ؟!!)

أنار لهما العم (شندى) ـ بنية طيبة ـ طريق البحث عنى ، فاتكمشت فى مخبئى أكثر ، حتى سمعت (انتصار) تهتف :

ـ أنر لى هذا الركن من فضلك يا عم (شندى) !

كتمت أنفاسى ، ألتصقت بالحائط ، جاء العم (شندى) لينير غرفة الحصان الراحل (بحر) ، و ...

ـ ظننته هنا !

لم يجدوا شيئًا فبدءوا يفقدون الأمل ، بينما أخذت أنا أدعو الله ضارعة ألا تصهل المهرة التى أجلس بجوارها الآن فجأة كاشفة عن مكانى ، ولمزيد من التوكيد أخذت فى مد صلة صداقة بينى وبينها ، فمددت لها يدى أطعمها بما فى جيبى من بسكويت !!!

★ ★ ★

٦ ـ ليلة !

تكلمنا كثيرًا أنا و (داليا) ..

جلسنا فى غرفتها حتى الواحدة بعد منتصف الليل ، وتكلمنا فى كل شىء تقريبًا ، (الإنترنت) ، الأفلام السينمائية ، المسلسلات التليفزيونية ، الأغنيات الشابية ، روايات الجيب ، الصحف الصفراء ، تحقيقات السيد (س) ، مصرع (بحر) ، وما سيحدث الليلة ..

لكنى لم أخبرها بما حدث عند الإسطبل ، فضلت الكتمان حتى لا تخرج الأمور عن نطاق سيطرتى ، وحتى أستطلع بنفسى تفاصيل ما سيجرى الليلة دون تدخل من أحد حتى منها ..

أما فيما عدا ذلك فقد تدفق نهر الحديث بيننا عذبًا سائغًا سلسبيلاً ، حدثتها عن حنينى لأمى الراحلة ، وعلاقتى العجيبة بخطيبى ، وعن صديقات الجامعة وعلاقتى الأعجب بهن ، وعن ولعى بالصحافة منذ نعومة أظفارى ، وتجربتى فى جريدة (الأربعاء) مع السيدة (ألفت همام) التى تعاملنى كابنة

لم تلدها ، وحدثتنى هى عن طفولتها وذكريات فقدها لأمها وهى ما تزال ابنة سنين سبع ، وعن التعلق المتبادل بينها وأبيها ، وعن حبها (علم النفس) حتى النخاع وشغفها باستقراء نفسيات كل من تقابله ..

قالت (داليا) :

ـ فى رأيى أن أعظم علماء النفس هو (سيجموند فرويد) ..

قلت :

ـ أختلف معك فى هذا الرأى ، إذ لا أراه إلا محض دجال مشعوذ نصاب !

قالت :

ـ أهذا رأيك فى رائد مدرسة (التحليل النفسى) ؟!

قلت :

ـ بل هو رأيى فيمن اختصر سلوكيات البشر فى مجموعة من دوافع اللاوعى الجنسية !

قالت :

ـ هناك نقاط كثيرة مأخوذة عليه فى هذا الصدد ، لكنى

أحدثك عن تقسيمه الفريد للنفس البشرية إلى (هو) و(أنا) و(أنا أعلى) ، وعن إبرازه دور اللاوعى الخفى فى تكوين أفعال المرء الظاهرية و ...

قلت :

ـ هل تظنين أن اللاوعى يتحكم فينا إلى هذا الحد حقًا ؟!

قالت :

ـ مهما اختلفنا فى حدود تحكمه فهو تحكم موجود فعلاً ..

قلت :

ـ لا أتصور أنه يمكننى فعل شىء دون أن أعى بأنى أفعله ، اللهم إلا لو كنت مريضة نفسيًا أو عقليًا ..

قالت :

ـ المعنى أبسط بكثير مما تعتقدين ، لا يجب أن تكرهى شخصًا ما مثلاً فتقتليه بدافع من اللاوعى ، إنك لو قابلت شخصًا لأول مرة فالمفترض أن تكون مشاعرك محايدة تجاهه ، أما لو شعرت نحوه براحة أو كراهية غير مفهومة ، فاللاوعى عندك قد جعلك تكنين له هذه المشاعر التى ربما جهلت أنك تشعرين بها !!

قلت :

ـ لا أجد ما تقولينه مقنعًا تمامًا ، فأنا أعى تمامًا ـ على سبيل المثال ـ أننى أمقت (انتصار الشربتلى) هذه !

قالت :

ـ فى هذه النقطة أنا أشاركك المشاعر من صميم قلبى ..

قلت :

ـ أشعر بأن هذه المرأة مفتعلة أكثر من اللازم ...

قالت :

ـ إن لدى سببًا أوجه لكراهيتها ..

قلت :

ـ وما هو ؟!

قالت :

ـ إننى لم أقل هذا لأحد من قبل يا (نسرين) ، لكننى أشعر بأنها تحوم حول أبى ..

قلت :

ـ تريد الزواج منه مثلاً ؟!

قالت :

ـ بالضبط ..

قلت :

ـ وهل تعتقدين أن لها يدًا فى مقتل (بحر) وما سيجرى الليلة ، إن جرى شىء ؟!

قالت :

ـ لقد قُتِل (بحر) باستخدام سكين المطبخ كما أخبرتك ، وهى طريقة ساذجة لن يلجأ لها إلا ساذج ، وبرغم كل شىء فلست أعتقد فى كونها قاتلة محترفة !

قلت :

ـ وماذا عن (فهمى حلاوة) ؟!

قالت :

ـ هذا أكثر سذاجة من أن يفكر فى فعلها أصلاً ..

قلت :

ـ و (فاضل) ؟!

قالت :

ـ لا أظنــه فى حاجة لخيانة ولى نعمته الذى يغدق عليه ـ كابنه ـ بغير حساب ..

قلت :

ـ وهل تظنين (انتصار) فى حاجة لقتل (بحر) أكثر من أخذ النقود ؟! إنها لم تحاول أن تواصل خطتها للابتزاز ..

قالت :

ـ هذا هو اللاوعى الذى كنت أنت تتحدثين عنه ، دعينى أصارحك يا (نسرين) بأننى أخشى طبقًا لملاحظات عدة من أن تكون نفسية (انتصار) غير سوية ..

وصمتت قليلاً ، ثم قربت فاها من أذنى لتهمس :

ـ هناك أكثر من دليل على إصابتها باضطراب هائل فى السلوك ، ربما يصل إلى حد (الفصام) نفسه !!

★ ★ ★

غلبنى النوم مرغمة فور عودتى للغرفة التى خصصتها لى (داليا) ، حاولت أن أقاوم لكنى فشلت ، الهدوء والرغبة فى الاستسلام لسلطان النعاس كانا أقوى من قدرتى على المقاومة ، ثم إنى لم أنم جيدًا ليلة أمس بسبب السيد (إنترنت) !

وقبل أن تهاجمنى أضغاث أحلامى المعهودة رن جرس الهاتف بجوارى ، واستغرقت مايقرب من دقيقة كاملة لاستيعاب الموقف إذ لم أكن أعلم أن الغرفة مزودة بهاتف ، ولم أنتبه لوجوده عندما دخلت إذ كان بصرى مشوشًا بفعل سلطان النعاس إياه ..

المهم أننى ساءلت نفسى إن كان الهاتف ذا خط منفصل خاصَ بالغرفة ، أم هو متصل بخط خاص بالاستراحة كلها ، لكنى قررت أن أرد فى النهاية ، ففى كلا الحالتين لن يكون الاتصال خاصًا بى (من يعرف بوجودى سوى (هشام) ؟!) ، وفى كلا الحالتين أريد وضع حدٍّ لهذا الرنين الملحّ حتى أعود لأكمل نومتى الهادئة ..

اهتديت للسماعة فى الظلام فلم تكن هناك (أباجورة) بجوار السرير لأضيئها كما اعتدت فى غرفتى ، وبرغم علمى بكون صوتى فظيعًا عندما أنهض من النوم بغير رغبتى إلا أنه لم يكن هناك خيار آخر !

ـ آلو ..

ـ وهل تصلح ليلة كهذه للنوم يا صغيرتى ؟!

إنه هو .. الصوت الغليظ الأجش كمن يتعمد تغييره ..

ـ السيد (س) ؟!

ـ يا لك من كسول !

ـ كيف عرفت أننى هنا ؟! أين أنت ؟! وما الذى يحدث هنا ؟! إننى لا ...

قاطعنى بضحكة عالية ثم قال :

ـ مهلاً مهلاً يا صغيرتى ، لن أستطيع الإجابة عن كل هذا الفيض من الأسئلة مرة واحدة ، بالطبع حلّق النعاس بجناحيه بعيدًا فى السماء ، واتسعت عيناى فى محجريهما لتطالعا السواد المحيط بى ، وأنا أهتف :

ـ كفاك تلاعبًا بأعصابى .. من أنت ؟! وماذا تريد منى ؟!

أتانى صوته ساخرًا وهو يقول :

ـ هل تهمك معرفة هذا بالفعل ؟!

صرخت فيه :

ـ إنك تتصرف وكأنك تحت جلدى ، كأنك تحصى على أنفاسى ودقات قلبى ، من أنت ؟! وماذا تريد منى باللّه عليك ؟!

تأتأ ثم قال كأب يقرّع ابنته سيئة الأدب :

ـ بدأت الصغيرة تفقد أعصابها .. يا للغضب الطفولى البرىء !!

كادت السماعة تنصهر بفعل حرارة زفرتى ، ثم قلت :

ـ لو تماديت فى هذا فسأغلق السماعة ..

سألنى فى ثقة :

ـ هل تريدين فعل هذا حقًا ؟!

ـ لقد بدأت أخشاك ..

ـ ألا تريدين إتمام قصة جديدة وفريدة للصحيفة ؟! هأنذا أضعها بين يديك ..

عندما تذكر (الصحافة) أنسى كل شىء حتى نفسى ، حتى السيد (س) الغامض كالأبد ، لهذا سألته بلهفة متناسية كل شىء :

ـ هل تعلم ماذا سيحدث الليلة ؟!

ـ هذه مهمتك أنت .

لهفتى تتزايد وأنا أسأله :

ـ وكيف ذلك ؟!

أجاب بلهجة مرح ساخر لا تتناسب مطلقًا مع بركان الانفعالات المتفجر داخلى :

ـ لقد أطلقت رصاصة الرحمة على الحصان العجوز !

سألته غير مخفية امتعاضى :

ـ تعنى أن حصانًا قد قتل ؟! مرة أخرى ؟!

ـ هذا ما ستكشفينه بنفسك عندما تنقلين حصان الشطرنج نقلته العكسية !

ـ وما معنى هذا ؟!

ـ انتهى ما لدى للأسف ، وتذكرى دومًا أنك فى سباق مع الزمن ، إلى اللـ ...

صحت أقاطعه :

ـ انتظر أرجوك ..

لم يغلق السماعة كما توقعت ، فأردفت سائلة بكل ما فى صدرى من اضطراب :

ـ هل أنت قريب منى إلى هذا الحد ؟!

لا أدرى لماذا سألته هذا السؤال بالتحديد ، ولدهشتى الشديدة أجاب :

ـ أجل ، إنى هنا ..

ثم .. أغلق السماعة .. تاركًا إياى أتخبط فى ظلمات الحيرة الدهليزية ..

هل يقصد بالفعل أن حصانًا آخر قد قتل ؟! أم أن ..

يا إلهى .. لعله يقصد المليونير والد صديقتى بنفسه ، إنه صالح جدًا لنعت (العجوز) ، وصالح أكثر لأن يُقتل لأكثر من سبب أبرزها ثراؤه ونقوده ..

هل هذا ما كان يتفق عليه (فاضل) و(انتصار) خلف الإسطبل هذا المساء ؟!

و ... يا إلهى .. هل يريدان تلفيق تهمة مصرعه لـ (فهمى حلاوة) ؟!

(... سأدبر له الليلة ما يكفل إبعاده تمامًا عن طريقنا !)

ستكون مأساة حقيقية لو كان الأمر كذلك ، لا مفر من أن أنهض ، ولكن إلى أين ؟!

فهمت ، لابد أن أنقل الحصان نقلة عكسية ، ولو نذكر المزرعة ذات حرف (L) التى تقع الاستراحة فى ذراعه القصير ، والاسطبل فى ذراعه الطويل ، مع الوضع فى الاعتبار أن حصان الشطرنج يتحرك على شكل حرف (L)

على الرقعة ، فنقلته العكسية ستكون من الاستراحة إلى الإسطبل ..

أى أننى لابد أن أذهب للإسطبل حالاً ..

ما زال السيد (س) يتعمد ألغازه الهينة هذه حتى فى أحلك المواقف وأعقدها ..

نهضت فى قمة نشاطى ، فركت عينى بقبضتىَّ حتى تعتادا الرؤية فى الظلام ، بحثت بيدىَ عن زر الإنارة فوق الحائط ، أذكر أنه هنا ، ها هو ذا ..

ضغطت الزر ، ولم يحدث شىء ، ظلت الحجرة غارقة فى الظلام ..

هناك حل من اثنين لا ثالث لهما ، إما أن الكهرباء مقطوعة عن الاستراحة وربما عن المزرعة كلها ، وإما أن المسألة متعمدة ، وهذه هى الطامة الكبرى ..

ربما فعلها (فاضل) و(انتصار) حتى لاتكون هناك فرصة لكشفهما حتى لو داهمهما أحد وهما يقومان بجريمتهما أو يخفيان آثارها ..

لكنى لن أتركهما أبدًا يفلتان ..

تحسست طريقى فى الظلام ، لا أدرى إن كنت سأجد مايساعدنى على إنارة الطريق ، كل مايخصنى فى هذه الحجرة المؤقتة الكاميرا (فى الحقيقة هى لاتخصنى تمامًا !) ، وكنت قد وضعتها بجوارى على السرير ، لن تساعدنى على إنارة الطريق لكنها قد تساعدنى على إضافة بعض الصور الفريدة للتحقيق لو قدر اللّه لى أن أعيش حتى أكتبه ..

فعلتها من قبل أكثر من مرة ، لذا لن يكون الاعتماد على اللمس لاستبيان طريقى إلى الخارج صعبًا ، أو هو سيكون صعبًا لكنه لن يبلغ حد الاستحالة ..

فتحت الباب ، باب حجرة (داليا) المقابل لى مغلق ، لن أوقظها قبل التأكد من شكوكى حتى لا أسبب إزعاجًا بلا داع أو هلعًا بلا مبرر ، أنا لا أريد أن أتصور رد فعلى يوم يحملون لى نبأ سيئًا مفاده أننى لن أستطيع رؤية أبى مرة أخرى ..

يرتعد جسدى من مجرد التفكير، فأستعيذ باللّه من وسوسات الشيطان الرجيم وأواصل المسير فى محيط الظلمات ..

ها هو ذا الدرابزين الذى سيقودنى للطابق الأسفل (هل ذكرت أن غرفتى تقع فى الطابق العلوى ؟! لا أذكر !) ، درجة درجة أهبط ببطء ، لا أحب فكرة أن تتعثر قدمىَ فأتدحرج لأسفل كالبرميل !

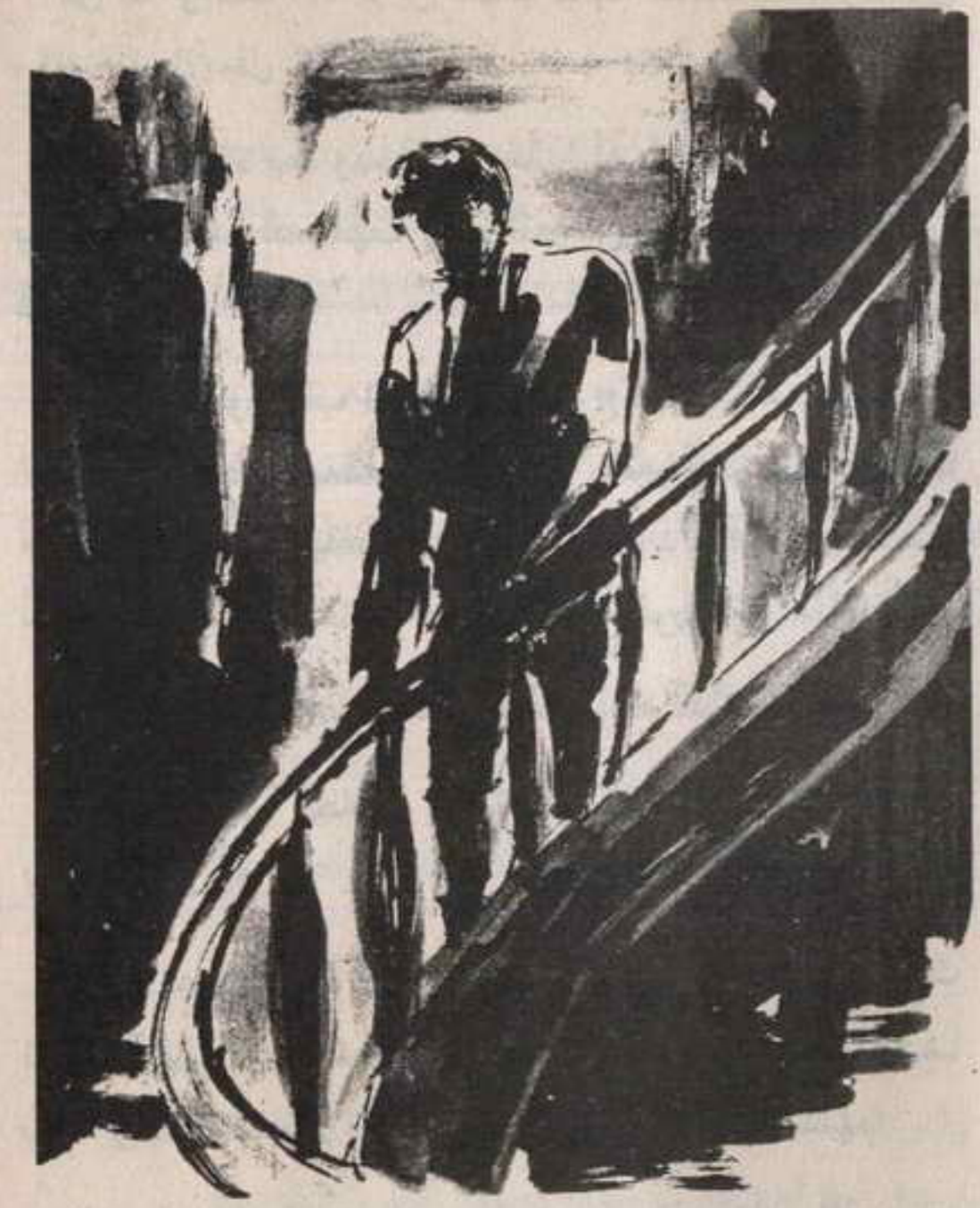

ها هو ذا الدرابزين الذى سيقودنى للطابق الأسفل (هل ذكرت أن غرفتى تقع فى الطابق العلوى ؟! لا أذكر !) ، درجة درجة اهبط ببطء ..

هل أنا واهمة ؟! أم أن هناك جلبة خافتة صادرة من مكان ما بالأسفل ؟!

لن أعرف إلا بعد وصولى ، هأنذا أهبط الدرجة الأخيرة ، يبدو أن الجلبة قد انتهت إذ لم أتعرض لهلاوس سمعية من قبل ..

الطريق نحو الباب المفضى للخارج قصير نسبيًا ، لكنى لا أريد الاصطدام بمقعد شارد أو طاولة ضلت طريقها أو عمود خرسانى يقف كالديدبان ، أمد يدىَ أمامى ـ كأننى أمشى فى أثناء النوم ! ـ حتى لايعترضنى عائق مفاجئ ..

كدت أبلغ الباب عندما اخترق أذنىَّ وقع أقدام من خلفى ..

التفتَ بحركة فجائية ، أنا على ثقة تامة من كونى لا أهلوس ..

توقف الصوت ، لم أر إلا الظلام المدلهم عن أمامى ، أرهفت السمع فأتانى الصوت من ناحية مجاورة ، التفتَ نحوها بغتة أيضًا ليطالعنى المزيد والمزيد من الظلام المدلهم ..

لايمكن أن يكون الأمر توهمًا أو هلوسة ، أقسم إنه ليس كذلك ..

من ؟! (فاضل) ؟! (انتصار) ؟! كلاهما معًا ؟! السيد (بهيج) ؟! أم .. السيد (س) بنفسه ؟!

أفزعتنى الفكرة بقدر ما تمنيت أن تكون صحيحة ، رفعت الكاميرا أمام صدرى فى وضع الاستعداد ، أتى وقع الأقدام هذه المرة من جانب آخر ، فالتفت بكل ما استطعت من سرعة وضغطت زر التصوير ..

أنار المصباح الومضى(*) ليسطع المكان كله جزءًا من عشرة أجزاء من الثانية ، ثم عادت الظلمة أشد حلكة مما كانت ، مع فزع رهيب اجتاحنى كالنازلة ..

هل رأيت بالفعل ـ خلال السطوع اللحظى لضوء الكاميرا ـ شخصًا ما ؟!

هل انتبه لوجودى ويستعد الآن للانقضاض علىَّ ؟!

أم أننى واهمة من جديد ؟!

لو أنه السيد (س) بالفعل فخوفى بلا مبرر ، لكن مبدأ (إيثار السلامة) جعلنى أستدير فاتحة الباب ، ثم مهرولة خارجه إلى الساحة الواسعة نسبيًا أمام الاستراحة ..

(★) اللفظ العربى الدقيق المترجم لكلمة Flash Lamp .

نسمات الليل العليلة داعبت وجهى وشعرى القصير ، منظارى الطبى أخلعه قبل النوم لكنى أستطيع الرؤية جيدًا بغيره ، خاصة وأن الرؤية هنا أفضل من الداخل بمراحل مع نصف القمر المضىء فى صفحة سماء الليل الغارقة فى بحر السواد ..

كم الساعة الآن ؟!

العقارب الفسفورية فى ساعة معصمى قالت (الثالثة والنصف إلا بضع دقائق) ..

إلى الإسطبل إذن ، لأنقل الحصان النقلة العكسية المرجوة ..

لكنى قبل أن أفعل شهقت فى فزع رهيب رهيب رهيب ، أحسست أن قلبى يكاد يتوقف عن الخفقان إن لم يكن قد توقف للحظات ..

لماذا ؟

ألا ترون أن يدًا توضع فوق كتفى من الخلف يعد مبررًا كافيًا ؟!!

ـ هدئى من روعك يا (نسرين) .. إنه أنا !

التفت ، وشهقت مرة أخرى ، لافزعًا هذه المرة وإنما ذهولاً صاعقًا ..

لقد رأيت أمامى ـ على ضوء نصف القمر ـ آخر من أتوقع رؤيته فى هذه اللحظة بالذات وفى هذا المكان بالذات ..

أتعرفون من ؟!

خطيبى الرائد (هشام القاضى) !!!

ـ ما بالك تنظرين إلى هكذا كأنك قد رأيت شبحًا ؟!

رباه .. يا لها من ليلة ليلاء !

أيمكن أن يكون ما فكرت فيه صحيحًا ؟!

★ ★ ★

(... برقت فى خاطرى فكرة سارعت بوضعها جانبًا برغم معقوليتها الشديدة ـ إذ كنت قد وصلت هرولة إلى ...)

★ ★ ★

(هشام) هو السيد (س) ، ألا تبدو فكرة عاقلة مجنونة ؟!

معقولة عبثية ؟!

لكنه التفسير المناسب لكل شىء ، القضايا الثلاث السابقة ، وهذه بالتحديد !

سـلطته تسمح له بمراقبتى ومعرفة كل شىء فى الوقت المناسب ، يمكنـه أن يعرف أين أكون لو أرسل عيـون (المباحث) خلفى ، وفى هذه القضية بالتحديد يمكنه وضع الرسالة فى جيبى صباحًا ، وتعقب الرقم الذى حادثتـه منـه ثم إعادة إرسال فاكس إلىّ على نفس الرقم ، ثم محادثتى ليلاً ليدلنى على أحداث الليلة التى لم تحدث بعد !

وها هو ذا يظهر بشحمه ولحمه فى مسرح الأحداث ..

ألا يبدو كل هذا معقولاً وعبثيًا فى نفسى الآن ؟!

فإذا كـان (هشـام) هو نفسـه السـيد (س) ، فلمـاذا لايظهر لـى منذ البداية كاشفًا وجهـه ؟؟ ولمـاذا يتعمـد التهوين والتحقير منه فى كل مناسبة ؟!

حِيَل لإبعاد الأنظار عنه ؟!

ممكن ..

والأكثر إمكانًا أنه ربما لا يدرى بكونه السيد (س) !!

أليس هذا ممكنًا بالفعل يا سيد (فرويد) ؟!!

* * *

ـ مابك يا (نسرين) ؟! لماذا ترتعد فرائصك هكذا ؟!

سألنى (هشام) فى اهتمام ، كنت أرتعد بالفعل ـ لهـول ما أفكر فيه ـ لكنى قلت محاولة أن أبدو متماسكة :

ـ لاشىء ولكن .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟!

هز كتفيه قائلاً فى لهجة تشبه الحنان :

ـ خفت عليك !

حدجتـه بنظرة مفعمـة بالتكذيب وأنـا أقول فى ما يشـبه التهكم :

ـ هل جاءك هاتف المغيب المفاجئ فجئت تطمئن علىّ ؟!

قال فيما يشبه الدفاع عن نفسه :

ـ ليس تمامًا ، لقـد جـاءنى هـاتف مـن شـخص مجهول يخبرنى بوجودك هنا فى خطر ..

هل يتوقع منى أن أصدقه ؟!

كلا يا سيد (هشام) / (س) ، لسـت غِرَّة ساذجة بلهاء حمقاء إلى هذا الحد !

ـ ولماذا لم تحاول الاتصال بى هاتفيًا ؟!

سألته عاقدة ساعدىَ أمام صدرى كأنى أتحداه أن يجيب ، فهز كتفيه كعادته مجيبًا فى بساطة :

ـ إنه لم يترك لى رقم الهاتف ، فآثرت المجىء بنفسى ، أنتِ تعلمين أن أباك قد تركك أمانة فى عنقى ، ولست من هواة تبديد الأمانات كما تعلمين أيضًا ..

ثم إنه عقد حاجبيه سائلاً فى استغراب :

ـ بالمناسبة ، أليس المفترض أن تكونى الآن نائمة فى الغرفة التى خصصتها لك صديقتك ؟!

ما الذى دعاك للنزول فى هذا الوقت ؟!

وأضاف فى استغراب أكبر :

ـ إننى لا أجدك تعانين خطرًا من أى نوع كما أرى !!

لماذا تدعونى لهجته الصادقة وملامحه الطفولية البريئة لتصديقه ؟!

هل هو ممثل بارع ؟! أم أننى أنسج من وحى خيالى قصة بلا أساس ؟!

أم يكون الأمر تطبيقًا نموذجيًا لنظرية (اللاوعى)

الفرويدى ؟! ويكون (هشام) نسخة عصرية مكررة من (الدكتور جيكل والمستر هايد) ؟!

هل هو قدرى أن أعيش مع رجل مزدوج الوجه تحت سقف واحد ؟!

وأن يكون السيد (س) فى النهاية أبًا لأولادى ؟!

يا للدراما الإغريقية الممعنة فى التراجيديا الأسطورية !

لكنه لم يكن الوقت المناسب لهذه الأطروحات الجدلية على أى حال ، إننى فى سباق مع الزمن كما نصحنى السيد (س) ـ أو (هشام) ـ أن أتذكر دومًا ..

ـ تعال معى ..

جذبته من يده لنهرول معًا ناحية الإسطبل ، وهو يسألنى فى استنكار :

ـ إلى أين ؟!

لم أجب حتى وصلنا إلى مدخل الإسطبل ، وهناك وقفت ألهث بينما واصل هو سؤالى بنفس الاستنكار :

ـ ما الأمر يا (نسرين) ؟!

أشرت إلى مدخل الإسطبل فى صمت ، فنظر إليه ثم عاود النظر إلى قائلاً :

ـ لست أفهم شيئًا ..

ـ إذن تعال معى !

تقدمت جانبة يده فى حذر هذه المرة ، وواصل هو سؤاله المستنكر :

ـ ماذا تفعلين بالضبط يا (نسرين) ؟!

ـ ش ش ش ..

همست بها له واضعة سبابتى فوق شفتىّ المضمومتين ، وتابعت همسى بقولى :

ـ أبحث عن آثار جريمة ما !

ـ هنا ؟!

ـ أجل ..

لم نتبادل المزيد حتى احتوانا ظلام الداخل ، لن يمكننى كشف أى شىء فى الظلام ..

(تك) ..

أنار المكان بضوء شاحب صادر من ولاعة (هشام) ..

ـ حتى تعرفى إحدى فوائد التدخين !

أردت إخباره بأنه سيقلع عنه إن عاجلاً أو آجلاً شاء أو أبى ، لكنى آثرت الصمت وعيناى تجولان فى أنحاء المكان بحثًا عن دليل ما لمصرع (حصان عجوز) ، ذكرونى أن أخبره بهذا لاحقًا !

لكن .. هل قتل السيد (بهيج عز الدين) حقًا ؟!

أين يمكن أن توضع جثته إذن ؟!

تذكرت شيئًا ما ، فخففت الخطى نحو نقطة بعينها وتبعنى (هشام) ، وأمام غرفة الحصان الراحل (بحر) توقفنا ، لأسمع هتاف (هشام) المأخوذ :

ـ يا إلهى .. كنت على حق يا (نسرين) ..

وعلى الأرض داخل الغرفة ذات الباب المفتوح ، تمددت جثة بشرية وضحت معالمها مع اقتراب ولاعة (هشام) ..

جثة عم (شندى) ، الحصان العجوز !

وبجواره منديل ذو مربعات زرقاء كبيرة ملوث بالدم ، هل تذكرون صاحبه ؟!

لقد تم تنفيذ المؤامرة إذن ، ولكن لإخفاء ماذا ؟!

نهضت ناظرة فى عينى (هشام) ، وكدت أقول شيئًا عندما شق سكون الليل الهاجع صرخة من بعيد .. بالتحديد من ناحية الاستراحة ..

هرولت ـ و(هشام) أمامى سابقًا إياى بعدة خطوات واسعة هذه المرة ـ نحو الاستراحة ، ومن أمام مدخلها شاهدت نافذة حجرة المكتب بالطابق السفلى مضاءة ، والستائر من وراء النافذة تعكس ظل رجل مذعور !

★ ★ ★

٧ ـ صورة ..

انفتحت الستائر أخيرًا داخل حجرة المكتب لتلقى الشمس بضيائها الذهبى الدافئ على وجوه الواقفين جميعًا ، أنا و(هشام) و(داليا) والسيد (بهيج) و(فهمى حلاوة) الشهير بـ (المواطن المطحون) ، وأمامنا رجل شرطة يأمر اثنين من رجال المعمل الجنائى بحمل الجثة الممددة فوق الأرض على محفة لوضعها فى السيارة الرابضة بالخارج ..

جثة (انتصار الشربتلى) !

وعبر النافذة شاهدنا جميعًا اثنين من رجال الأمن يحيطان بـ (فاضل المناسترلى) المقيد بالأغلال الحديدية حول معصميه ماشيًا فى تخاذل وعيناه تطفحان بالندم ..

ـ ياللخسة والنذالة ..

غمغم بها السيد (بهيج) فى نبرة خافتة استطعنا جميعًا أن نسمعها نظرًا لجهارة صوته الغليظ ، واستطعنا جميعًا

أن نقدر موقفه إذ شعر بطعنة تخترق ضلوعه من الخلف ، لقد خانه تلميذ عمره بالتحالف مع سكرتيرته ، هذا كل مافى الأمر !

قال الظابط بعدها مخاطبًا (فهمى حلاوة) :

ـ لقد اعترف (فاضل) لوكيل النيابة بكل شىء ، ولولا ذلك لكنت الآن فى ورطة حقيقية ياسيد (فهمى) !

جفف (فهمى) عرقه هذه المرة بمنديل ذى ورود صفراء وخضراء :

ـ هذا بفضل سلامة نيتى ولله الحمد ..

وبرغم أن المسألة كانت أوضح من أن تفسر ، إلا أن ضابط الشرطة قرر فيما يبدو أن يستعرض علينا قدرته على التحليل والاستنباط والربط ، المنطقى ، فاستطرد كأنه ممثل فوق خشبة مسرح الجريمة :

ـ ماحدث الليلة واضح للغاية ياسادة ، أوضح حتى من أن يفسر ، لقد تآمر السيد (فاضل المناسترلى) مع المدعوة (انتصار الشربتلى) على سرقة محتويات خزانة السيد (بهيج عز الدين) ثم الفرار جوًا إلى دولة أوربية

ـ حجزا تذاكر السفر إليها بالفعل ـ للاستمتاع بإنفاق النقود هناك ، وحسبما اعترف السيد (فاضل) فإن (انتصار) هى التى أغوته وأغرته وأقنعته بارتكاب هذه الجريمة ، وخططت أيضًا لتلفيق تهمة قتل المدعو (شندى أبو جريشة) للسيد (فهمى حلاوة) خشية أن يكون قد كشف أمرهما ، وذلك بقتل الأول بضربة على الرأس باستخدام آلة حادة ووضع منديل الثانى ـ الذى سقط منه أمس دون أن ينتبه ـ بجوار الجثة ، خدعة ساذجة لم تكن تنطلى علينا بأى حال من الأحوال !

ـ عم (شندى) المسكين ..

غمغمت بها (داليا) والدموع تترقرق فى عينيها ، بينما واصل السيد (هتشكوك) :

ـ فى الوقت المتفق عليه تسلل (فاضل) و(انتصار) إلى غرفة المكتب ، ولأنهما يعلمان أن الخزانة فيه مؤمنة بتوصيل تيار كهربى عالى الجهد إليها ، فقد قاما بفصل الكهرباء عن الاستراحة كلها عبر لوحة التحكم الرئيسية فى المطبخ السفلى ، وشرعا فى تنفيذ جريمتهما بكل هدوء ، ولكن فى أثناء ذلك ، قام أحدهم بإعادة الكهرباء فجأة ،

فسرت صاعقة كهربية تعادل الـ ١٠٠٠ فولت فى جسد (انتصار) التى كانت تمسك بمقبض الخزانة ، فخرت صريعة فى الحال بعد أن أطلقت صرخة احتضار أيقظت الجميع ..

أغمضت (داليا) ـ صديقتى الرقيقة ـ عينيها فى ألم وهى تتخيل ما حدث ، بينما مصمص (فهمى) شفتيه قائلاً :

ـ إنها عدالة السماء ..

هزّ الشرطى كتفيه ثم واصل :

ـ لو عثرنا على الفاعل لوجهنا إليه تهمة قتل خطأ على أقل تقدير ، لكن خبراء المعمل الجنائى أكدوا عدم وجود أى بصمات على لوحة التحكم الكهربى بالمطبخ ، وهكذا ستحفظ قضيتها ضد مجهول ..

عقدت حاجبى وأنا أهتف :

ـ ليست عدالة أن توجهوا أى تهمة للفاعل ، لقد كانت (انتصار) تستحق أكثر من ذلك ..

هزّ الضابط كتفيه قائلاً فى تسليم :

ـ أنا أحدثك عن القانون ، لا العدالة يا آنستى العزيزة !

وهزّ (هشام) رأسه وهو يغمغم مغمضًا كلتا عينيه :

ـ نعم ، إنى أفهم ما تقول يا عزيزى ، أفهمه تمامًا ..

ازداد انعقاد حاجبى وأنا أرمق (هشام) بنظرة شك بيّن لم يلحظها لحسن الحظ ، وعدت أسأل نفسى من جديد إن كان هو السيد (س) أم لا ، ثم تساءلت إن كان السيد (س) هو الذى قام بإعادة الكهرباء ، معنى هذا أن (هشام) هو الذى ..

كلا .. هذا مستحيل ..

لقد كان (هشام) معى وقت عودة الكهرباء وسمعنا معًا صرخة (انتصار) ..

هذا لا يحمل سوى أحد معنيين :

١ ـ أن (هشام) ليس هو السيد (س) !

٢ ـ أن الفكرة المجنونة لأقصى حد والتى تدور فى عقلى صحيحة مئة بالمئة ..

أى المعنيين أصدق ؟!

ما زلت أملك دليلاً لحسن الحظ ..

دليلاً لم أمط عنه اللثام بعد ..

★ ★ ★

فور عودتى إلى (القاهرة) ـ بصحبة (هشام) هذه

المرة ـ بدلت ملابسى ، وهبطت على الفور برغم الاحمرار الذى يعترى جفونى ـ إلى هدف أعرفه جيدًا ..

من ذكى بالقدر الكافى ليعلم أين ؟!

★ ★ ★

ـ تفضلى يا آنسة ..

ناولتنى الموظفة الباسمة فى بشاشة الظرف المغلق الذى يحتوى الصور الفوتوغرافية التى التقطتها فى (الإسكندرية)، وابتسمت بدورى بسمة منهكة وأنا أقول :

ـ شكرًا لك ، إن مواعيدكم ممتازة حقًا ..

أشارت إلى اللافتة الإعلانية الضخمة التى تحتل الجزء الأكبر من واجهة المحل الزجاجية، ثم قالت بنفس الابتسامة الباشة :

ـ إننا لم نكتب (ساعة واحدة لطبع وتحميض الفيلم) عبثًا !

ثم حنت رأسها لتردف بلباقة :

ـ تشرفنا بخدمتك يا آنسة ..

لم أطق صبرًا حتى أغادر (الاستديو) لأرى الصور ،

أخرجتها وأخذت أقلب فيها الواحدة تلو الأخرى ، أغلبها صور المهرجان بـ (سيدى بشر) ، وها هى ذى صور الإسطبل ودماء (بحر) ، أبحث عن صورة محددة ..

تلك الصورة التى سطع وميض مصباح الكاميرا لها فى الظلام ..

خفق قلبى مع العد التنازلى حتى أصل لها ..

سيتحدد على محتواها ـ بالنسبة لى على الأقل ـ أشياء كثيرة ..

ترى .. هل سأجد صورة (هشام) ؟!

أم ..

ها هى ذى ..

ارتفع حاجباى فى ذهول وأنا أحدق فيها ..

غير معقول .. إن الفكرة المجنونة التى دارت فى عقلى صحيحة مئة بالمئة ..

إن من أعاد الكهرباء ، وقتل (بحر) فى الغالب ـ ولتسمحوا لى أن أدهشكم كما اندهشت ـ هو .. عفوًا ، أقصد هى (صديقتى) !!

★ ★ ★

(.. أمد يدىَ أمامى ـ كأننى أمشى فى أثناء النوم ! ـــ حتى لا يعترضنى عائق مفاجئ ..) !

★ ★ ★

المشى فى أثناء النوم أو التجوال السباتى Somnambulism يعد نقيضًا للأحلام ، عكس ما ظن العلماء قديمًا من أن الذين يمشون وهم ينامون إنما يكونون تحت سيطرة أحلامهم ، وأنهم إنما ينفذون تنفيذًا فعليًا وقائع يرونها فى أحلامهم ، وهو من اضطرابات النوم الشائعة ـ عكس ما يظن الكثيرون أيضًا ـ يبدأ فى المرحلة الثالثة ويمتد للرابعة من النوم العميق ، وهو فى أبسط صورة وأهونها قد يقتصر على أن يجلس الشخص فى سريره بعد أن كان مستلقيًا ، وأن يغمغم قليلاً ببضع كلمات تكون غير مفهومة عادة ، ثم يعود فيستلقى على ظهره مباشرة لينام ، أما إن كانت الواقعة أطول ، وجدت الشخص ينهض من فراشه ويجوّل فى أنحاء الغرفة بل وقد يرتدى ملابس الخروج ..

وتكون العينان مفتوحتان فى معظم الأحوال وقد ارتسمت تعابير جامدة على الوجه ، ومن الواضح أن الذى يمشى فى أثناء نومه تكون له القدرة على الرؤية والإبصار بدليل

أنهم يتمكنون من تجنب الاصطدام بالأثاث أوغيره من العقبات والحوائل ، كما يكون بوسعهم أن يجيبوا بكلمات ذات مقطع واحد عن الأسئلة البسيطة التى توجه إليهم ..

والحالة تزداد بين الأطفال عنها بين الكبار ، وإنك لتستطيع أن تحدثها عن قصد بأن تمسك بيد طفل وهو فى نوم عميق لتجعله ينهض ويقف على قدميه ، والمعتاد أن هذا المشى فى أثناء النوم يتوقف من تلقاء ذاته عندما يكبر الأطفال ليدخلوا فى الرشد ..

الخلاصة أن السائرين نيامًا تجدهم يجوّلون مثل سائرى الأيقاظ وهم فى حالة ضبابية لا أحلام فيها ولا يتذكرون عنها شيئًا بعد ذلك فى الصباح ..

هذا ما قرأته فى أحد مراجع أبى الطبية عن هذه الحالة العجيبة التى لم أرها إلا فى أفلام الكارتون وصور الكاريكاتير ، وأذكر أننى قرأت منذ زمن عن واقعة حقيقية حصل فيها قاتل على (البراءة) لأنه ارتكب جريمته وهو سائر فى أثناء النوم(*) !!

(★) يمكنك قراءة هذه الحادثة فى فصل (القاتل كان نائمًا) ـ كتاب (الجريمة لا تفيد) ـ سلسلة (كتابى) ـ العدد (٢٣) ـ من إصدارات (الموسسة العربية الحديثة) ..

ولو أضفنا لهذا صورة بسيطة عما يسميه علماء النفس بـ (عقدة إلكترا) ، فربما أمكننا أن نرسم صورة متكاملة شاملة لما حدث ..

(إلكترا) ـ كما تصورها لنا أساطير الإغريق ـ هى ابنة (أجاممنون) و(كليتنسسترا) الثائرة المتمردة ، التى تخلصت أمها ـ بمساعدة عشيق لها ـ من أبيها ، فقامت بمساعدة أخيها (أورستس) بأخذ ثأر الأب الراحل فى دراما ثرية عالجها الكثيرون بدءًا بـ (أسخيلوس) و(سوفوكليس) و (أوربيديس) ، وانتهاءً بعلماء النفس الذين اتخذوها رمزًا لميل الفتاة نحو أبيها فى مرحلة عمرية معينة ..

وهكذا ، دعونا نتخيل معًا سيناريو ما حدث على ضوء تلك الصورة التى رأيت فيها (داليا) تسير نحو المطبخ ـ فى الطابق السفلى ـ مادة ذراعيها أمامها كأنها نائمة !

صديقتى مثلى ، فقدت أمها صغيرة ، فتعلقت بأبيها تعلقًا شديدًا ـ لا أريد أن أقول مرضيًا ، وأرادت أن تحتكره لنفسها ، وكلما كبرت كلما زادت عقدة (إلكترا) الأمر سوءًا فوق سوء ، حتى إنها شعرت بأن (انتصار) تحوّم حول أبيها بينما هى كانت تغزل شباكها حول التلميذ الفاشل الخائن (فاضل) !

أسوأ من كل هذا ، أنها كرهت حتى الخيول التى يهوى والدها اقتناءها وتربيتها كهواية من هوايات الأثرياء ، وعندما وجدت أباها يفضل (بحر) عن باقى الخيول ، عدت نفسها مهرة غيورة ، فأرسلت ـ ربما بدافع من لاوعيها ـ رسائل التهديد المتتالية ، إما النقود وإما (بحر) ، ولأنها لم تكن تريد نقودًا ، وربما أرادت الثأر من حب والدها لحصانه الأثير ، فقد نهضت ليلة أول أمس من نومها ، واستلت سكين المطبخ ثم اتجهت نحو إسطبل الخيول ، وهناك .. انهالت (داليا) الرقيقة كالنسيم بالطعنات فى جسد (بحر) ، ذبحته ونشرت دماءه فى كل مكان ، لطخت به حتى سيارة والدها (المرسيدس) الفارهة التى قادتنى لكل هذه الأحداث ، وببراعة أخفت آثار فعلتها ، ثم عادت لتكمل نومها فى سلام ، وصحت فى الصباح وقد نسيت كل شىء !

لكن هذا لم يكن كل شىء ، فى الغالب سمعت (داليا) ـ مثلما سمعت أنا ـ حوارًا بين (انتصار) و(فاضل) حول ما يخططان له ، متى وأين وكيف ؟! لاأدرى ، ربما حتى لم تع هى نفسها هذا واحتفظت بالأمر فى قرارة لاوعيها ، ربما خافت من أن يضرّا أباها ، ربما هذا ما جعلها تظن بـ (انتصار) التشوه النفسى والإصابة بـ (الفصام) ، المهم أنها ليلة أمس قد صحت من

واستلت سكين المطبخ ثم اتجهت نحو إسطبل الخيول ، وهناك .. انهالت (داليا) الرقيقة كالنسيم بالطعنات فى جسد (بحر) .

نومها ، وهبطت للطابق السفلى بعد أن ارتدت قفازًا أو ما شابهه ، واتجهت على الفور إلى المطبخ لتعيد الكهرباء إلى الاستراحة ، ثم عادت إلى سريرها بكل براءة ، لتصحو مهرولة مع المهرولين إثر صيحة (انتصار) ، وربما لم تعد إلى غرفتها أصلاً واستيقظت من نومها أمام لوحة الكهرباء ..

من يستطيع الجزم بذلك أوعكسه ؟!

لا أحد طبعًا !!

المهم أن عدالة السماء قد تمت كما قال (فهمى) بفطرته السليمة التى لم تتلوث بعد ..

يا له من تصور عجيب قد يدهش (سيجموند فرويد) نفسه لو سمعه !

لكنه التصور الوحيد المقبول منطقيًا للأسف ، أقول (للأسف) لأنى سأضطر إلى حفظه فى طى الكتمان ، إننى مقتنعة أن العدالة قد وقعت ، ولست على استعداد لدفع (داليا) إلى قفص اتهام بسبب قانون لايعرف الرحمة ..

نعم ، سأنام الآن فى هدوء ، وعندما أصحو سأبدأ فى كتابة الموضوع الثانى من بطولات السيد (س) ، وسيظل تفسيرى هذا سرًا أخفيه عن الجميع ..

حتى عن (صديقتى) !

* * *

على صهوة حصان من البلاستيك ، أركبه فى مدينة الملاهى ..

يدور بى فى صف طويل من الأحصنة ..

لكنى لا أشعر بالدوار ..

وهناك .. أراه ..

وحيدًا ينتظرنى فى صف الآباء والأمهات ..

ـ هاى .. أنت ..

أصيح فيه بنبرة طفلة وعيون مشتاقة ..

ما زال فى وقفته متشحًا بالظلال ، كأنه قطعة منها ..

كأنها روح تكوينه ، وتكوين روحه ..

ـ ماذا ؟!

صوته قادم من ماضٍ ممتدّ عبر آلاف القرون ..

صوته ـ كالمعتاد ـ دون صوت !

ـ تعال وشاركنى اللعب ..

يبتسم .. دون ابتسامة ..

ـ كبرت على مثل هذه الأمور ..

ـ هيا .. لا تكن سخيفًا ..

يرفع ذراعه بتحية وداع ..

ـ لابد أن أرحل الآن ياصغيرتى ..

أصيح به بلهفة تقارب البكاء ..

ـ كلا .. انتظر ..

ـ لن أستطيع ..

هل أبكى بالفعل ؟!

ـ أرجوك .. كلا ..

يبتسم من جديد ..

ـ لاتخافى .. سأمنحك قبل الذهاب هدية ..

تشرق بسمتى من سحب الدمع ..

ـ هل أنت بابا (نويل) ؟!

ـ ليتنى أعرف من أنا ..

يصمت ، يذوب فى دوامات التلاشى ..

ـ انتظر .. وعدتنى بهدية ..

يأتينى صوته كرجع صدى بعيد ..

ـ إنها معك بالفعل ..

أنظر حولى ..

لا أرى إلا صبيًا يجلس على الحصان البلاستيكى المجاور لى ..

يبتسم فيما يشبه الحنان قائلاً :

ـ مرحبًا .. اسمى (هشام) !

★ ★ ★

السيد (س) .. وأنا !

صعدت مترددة فى درجات السلم المتهالكة المفضية إلى الشقة رقم (٣) ، رائحة مياه الصرف الطافحة فوق أسفلت الشارع أمام البناية تملأ أنفى وتجعلنى على وشك التقيؤ ، لكنى سأحتمل ..

هنا ، فى البناية رقم (٣٥٠ أ) من منطقة (المساكن الشعبية المتطورة) يسكن المدعو (سليمان عبد البر) الفائز بجائزة مسابقة (نجمة النجوم) الثالثة ، حسبما أرسلته لى (داليا) صديقتى عبر البريد الإلكترونى من واقع سجلات المصنع ..

هل سيكون هو الذى رأيته فى رحلة القطار إلى (الإسكندرية) ؟! والذى أعطانى الكاميرا لألتقط له صور تسلمه للجائزة ؟! لابد أن يكون كذلك .. فقد صعد أمامى لتسلم جائزته بالفعل ..

هل هى محض مصادفة إذن أن يبدأ اسمه بحرف (س) الذى يختاره بطلى الأوحد كبداية لأسمائه المستعارة ؟!

لِمَ لا ؟!

على كل حال هأنذا قد جئت بنفسى لأعيد له الكاميرا خاصته ، ومعى أيضًا ما التقطته له من صور فى المهرجان .. (ألم تنسوا بعد أنها كانت صورة واحدة يتيمة ؟!) هاهى ذى الشقة رقم (٣)..

وقفت أطرق الباب فكاد ينخلع برغم وهن طرقاتى ، وانفتح فى النهاية ليبرز من خلفه السيد (سليمان) نفسه ، بشحمه ولحمه ولحيته الطويلة ..

حييته بإيماءة من رأسى ثم قلت مبتسمة :

ـ مساء الخير يا سيدى ..

عقد حاجبيه سائلاً فى غلظة أدهشتنى :

ـ ماذا تريدين ؟!

تنحنحت ، شعرت بتيار كهربى يسرى فى خلايـاى بفعل الحرج ، حاولت أن أقول :

ـ إننى .. أنا .. أعنى .. إحم ..

وتمالكت نفسى قدر استطاعتى لأقول فى النهاية جملة مفيدة لا بأس بها :

ـ لقد جئت لأعيد إليك الكاميرا ..

نظر إلى الكاميرا فى تعجب ، ثم رفع إلىّ عينين مليئتين بالشك وهو يقول :

ـ أهى طريقة جديدة للنصب والاحتيال ؟!

تملكنى الحرج أكثر ، قلت وقد استفزنى ماسمعت :

ـ ألا تذكرنى ؟! أنا (نسرين الجبالى) !

هتف بى وقد فقد أعصابه :

ـ كأنك تقولين أنا (سعاد حسنى) ! إننى لم أرك قبل اليوم يا فتاة !

سألته وقد انعقد حاجباى :

ـ ألست أنت السيد (سليمان عبد البر) ؟!

ـ نعم .. أنا المتعوس للأبد (سليمان عبد البر) !

سألته وحاجباى يكادان يصعدان فوق بعضهما :

ـ الفائز فى مسابقة (نجمة النجوم) بشقة تمـ .... ؟!

قاطعنى هاتفًا كالمجانين :

ـ آه .. ظهرت حقيقتك إذن .. لقد أرسلوك لتشمتى فىّ .. اعترفى .. أليس كذلك ؟!

تراجعت خطوتين للخلف وأنا أبادله الهتاف :

ـ كلا .. صدقنى .. ما أنا إلا صحفية فى جريدة (الأربعاء) أبحث عن ..

مد سبابته فى وجهى هاتفًا فجأة :

ـ انشرى إذن على لسانى هذه الحقيقة ، إنهم ينصبون علينا باسم الإعلانات التجارية ، أعطونى شقة وطلبوا منى سداد ما يقرب من الخمسين ألف جنيه كضريبة عقارية ، قولى لى بالله عليك ، إذا كنت أملك هذا المبلغ فما الذى يجعلنى أصر على الإقامة فى شقة كهذه ؟! درءًا للحسد أم حبًا فى ضيق المساحة ورائحة الصرف ؟!

ثم أغلق باب الشقة فى وجهى بمنتهى العنف !

هو ليس السيد (س) إذن ، لا بد أن السيد (س) قد تنكر فى هيئته ليكون بجوارى ، وهو ما ينفى ـ نفيًا ضعيفًا ـ أن يكون هو نفسه (هشام) إذ كيف يتركنى على رصيف القطار لأجده بجوارى داخله ..

المهم أننى هبطت إلى الشارع الطافحة مياه الصرف فوق أسفلته وأنا لا أدرى ..

هل أضحك ، ترى ، أم أبكى ؟!!

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

روايات مصرية للجيب
سلة الروايات
فى كل رواية متعة دائمة !!

محمد سليمان عبد المالك

مغامرات "س"

صديقتي

مهما حوت هذه المساحة الضيقة من كلمات ، فلن تستطيع

أبدًا أن تصف كم كانت هذه المغامرة خارجة عن المألوف !

وذلك لأن المساحة ضيقة بالفعل ..

وأن المغامرة .. بالفعل أيضًا - خارجة عن المألوف !!

وستتفضل معى إن كنت تصدقنى ، وإن كنت لا تصدقنى !

مطابع سلاح التلميذ

الثمن فى مصـ
ومايعـادله بالدولار
فى سائر الدول العـ